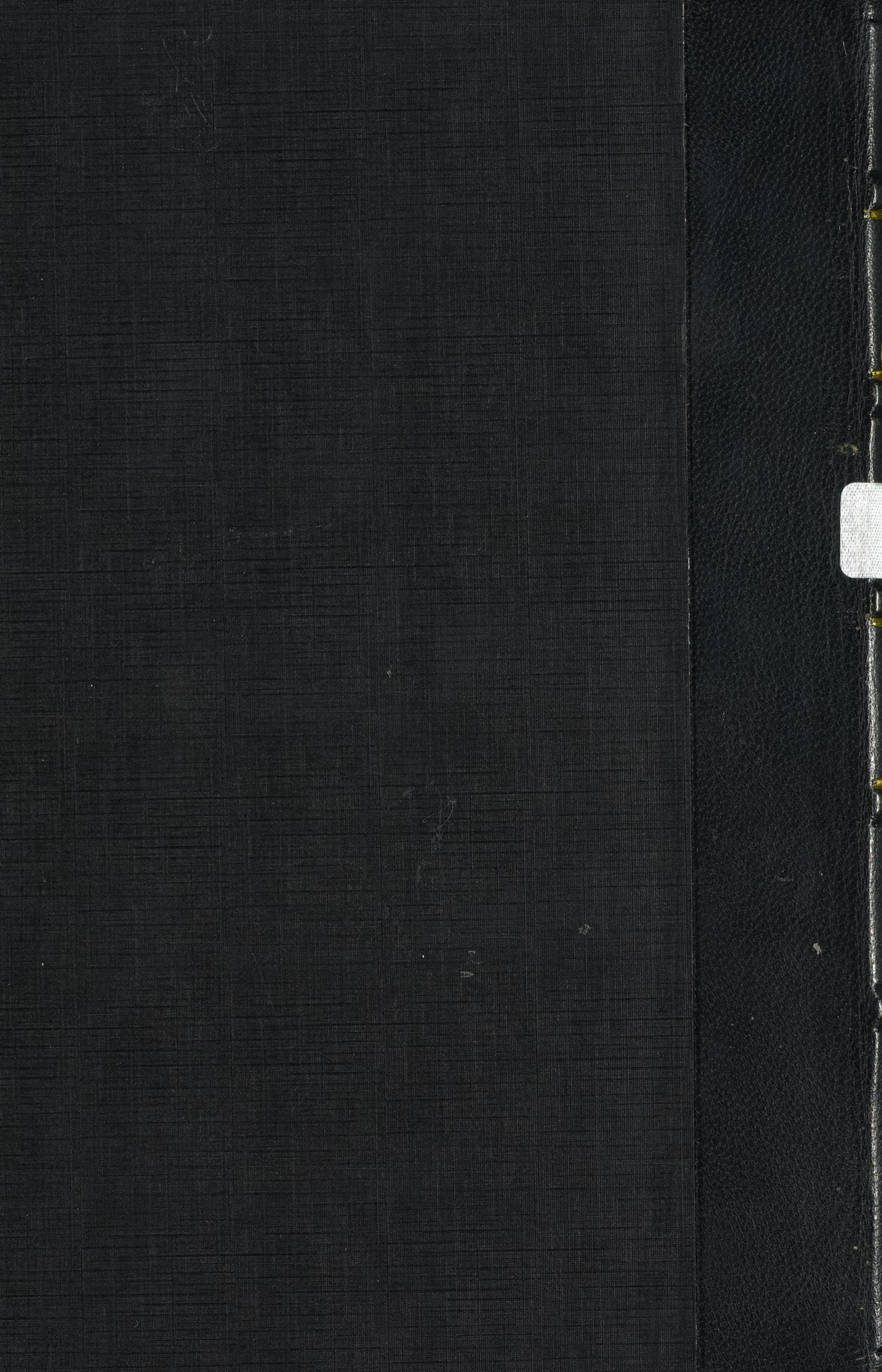
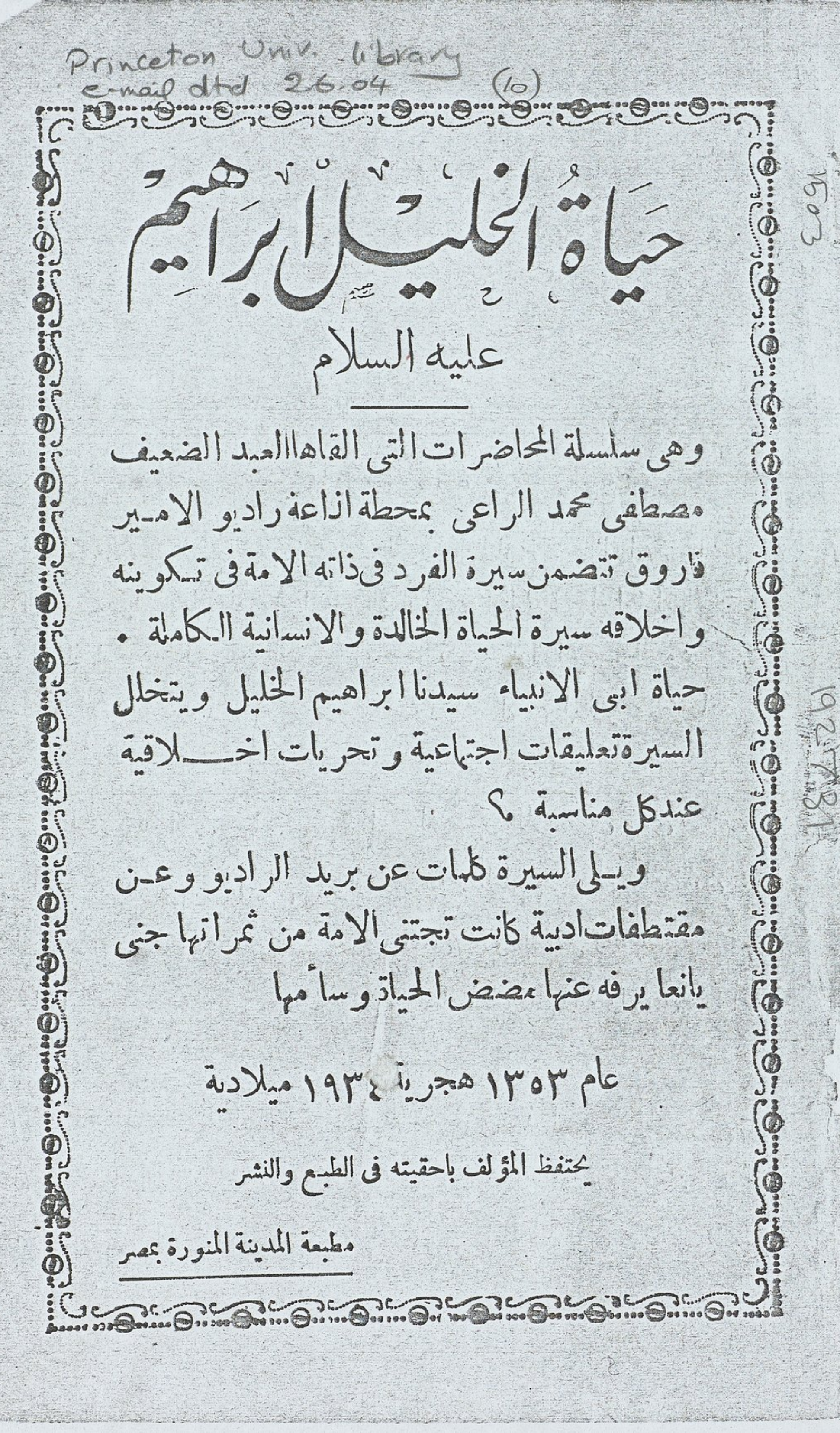




Princeton University Library
32101 054304538



حياة الخليل ابراهيم

عليه السلام

وهى سلسلة المحاضرات التى القاها العبد الضعيف
مصطفى محمد الراعى بمحطة اذاعة راديو الامير
فاروق تتضمن سيرة الفرد فى ذاته الامة فى تكوينه
واخلاقه سيرة الحياة الخالدة والانسانية الكاملة .
حياة ابى الانبياء سيدنا ابراهيم الخليل ويتخلل
السيرة تعليقات اجتماعية وتحريات اخلاقية
عندكل مناسبة ؟

ويلى السيرة كلمات عن بريد الراديو وعن
مقتطفات ادبية كانت تجتنى الامة من ثمراتها جنى
يانعا يرفه عنها مضض الحياة وسأمها

عام ١٣٥٣ هجرية ١٩٣٤ ميلادية

مطبعة المدينة المنورة بمصر



المحاضرة الاولى

منشؤه ومولده

خطبة الاستهلال ـ للمنفعة لقومنا ـ الكلام عن التاريخ ـ حلم ابراهيم ـ الحلم والغضب ومواضعهما ـ نصيحة إرجاع الشباب ـ حكاية الحياة ـ إبراهيم أبو الانبياء ـ اتصال المصريين بالعرب فى النسب ـ الوزير آزر ـ مولد ابراهيم ـ النمرود ومن ملكوا الارض مثله ـ رؤيا النمرود ـ قتل الذكور ـ حمل أم ابراهيم ووضعها

الحمد لله الذى جعل فى سير الأولين عبرة للآخرين مدى الايام . والصلاة والسلام على منهاج الكمال ومصباح الظلام . وعلى آله الذين هم لمكارم الاخلاق قادة الأنام . وصحبه الذين بذلوا النفس والنفيس فى رفع منار الاسلام . حتى ارتشف الخلائق منهله العذب فبل الغلة وأروى الأوام أما بعد

فانى أتشرف بمناجاة أمتى المحبوبة من فوق هذا المنبر الاثيري تنقل أمواجه ما يمليه ضميرى من الاخلاص المنبعث من أعماقه . ومن أراد المنفعة لقومه وسعى لها سعيها وهو موقن باجتناء ثمرها فلا بد أن يكون التوفيق إحدى ثمرات هذا السعي اليانعة

ولقد تخيرت أن أحدث اليكم عن التاريخ . إذ التاريخ هو الرابطة الوثيقة بين الماضي والحاضر وهو المرآة المصقولة التي نرى منها حياة الامم الغابرة وما كانوا عليه من ثقافة وتهذيب

التاريخ هو أبو العبر فعند ما تعنى الامم بدراسته في معاهد العلم كأنها تقول للطلاب أن خذوا من ماضيكم عبرة لحاضركم حتى تتجنبوا نقائص الاجيال السالفة وتتوخوا ماوصلوا اليه من كمال ومن عرفان

قلبت صحف التاريخ لاستخرج منه صحيفة ناصعة نقية انقل اليكم أطيب ماتحويه هذه الصحيفة النضرة من نبل وفضل . تلك هي حياة العظمة الخالدة حياة الانسانية الرحيمة حياة النبوغ العبقري والرقي الفكري تلك هي حياة الخليل ابراهيم عليه السلام

إن كل ناحية من نواحي هذه الحياة المليئة بالفخار وبالشرف تعتبر درسا نافعاً لمن كان له قلب فيلقى السمع الينا حتى نجول في هذه النواحي ما قدرنا على هذا التجوال وبالله التوفيق على كل حال

(إن إبراهيم لحليم أواه منيب) بهذا تصفه الكتب السماوية وبهذا وصفه القرآن الكريم فأي نعت اسمى من نعته هذا وأي وصف يدانى هذا الوصف الجميل . هذا عدا الصفات الواجبة في حق الرسل كالأمانة والفطنة والصدق فضلا عن عصمتهم وبعدهم عن اقتراف الآثام

الحلم يا قوم سيد الاخلاق فلو حلمنا على من نعول ما احتدم جدال وما اندلعت شرارة خصام حتى تلتهم نارها كل رطب ويابس

أليس الشجاع من يملك نفسه عند الغضب ؟ أليست الشجاعة صبر

ساعة ؟ نعم بهذا قال الحكماء وقالوا أيضاً انك لا تضع السيف فى موضع الندى ولا العكس بل يجب أن تغضب للحق غضبة صادقة حتى يعلو ولا يعلى عليه . وتغضب للكرامة حتى تحتفظ بها وتغضب للعرض حتى تصونه من عبث العابثين . نعم يجب أن نغضب للرجولة الصحيحة حتى نعيدها سيرتها الاولى

يجب أيها السادة أن تكونوا كما قيل فيكم (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته)

يا رجال الامة . انتم وحدكم المسؤولون أمام الله وأمام الناس وأمام التاريخ عن ارجاع هذا الشباب الجامح . الشباب ياقوم كالغصن الرطب يسهل عليكم تقويمه فقوموه واعدلوه قبل أن يتصلب العود فيصعب اعتداله . انظروا الى هذه الغيوم المتلبدة فى أفق الاخلاق وتأملوا هذه السحب القاتمة فى سماء الاجتماع واعملوا على إزاحة كل هذا بحكمتكم وحنكتكم

أما يكفينا أما يكفينا . أن أضعنا مجدنا بأيدينا :

أما يكفينا أما يكفينا . تحكم الاغيار فينا :

أستغفر الله . انى قلت فى مستهل كلامى أن سأقف موقف المؤرخ فحسب وأرانى وقد شط بى القول الى أن نصبت من نفسى واعظا ناصحا فوان كان هذا له هداته وله أئمته الا أن غيرتى على مصالح أمتى هي التى جعلتنى أخوض عباب هذا اليم لاستخرج منه جواهر النصح الثمين

وقبل أن أتكلم عن موضوعنا التاريخي اسرد على مسامعكم هذه الحكاية

يحكى إن رجلا ضاقت به سبل الحياة فخلى الدار تنعى من بناها وارتحل

يتلمس الرزق من غير بلده وبينما هو سائر اذا به يرى اناساً يؤلفون موكبا ضخما فيتلقونه بالاجلال والتكريم قائلين له أهلا علك الزمان وفريد العصر والأوان وصار كل من المواكبين يتملقه ويتزلف اليه وساروا به إلى أن أجلسوه على تخت الملك فى مدينتهم ثم أخذ هو يفكر فى هذا الحال وماذا يكون المآل بعد هذا ؟ فلما استقر فى الملك بضعة أشهر استخلص من بين خواصه أحدهم وسأله . يا ترى ماذا يكون مصيرى بعد أن تملكت عليكم ؟ فما كان جوابه إلا أن قال انه اذا انتهى العام يتنكر لك كل عارفيك فيسحبونك من عرش ملكك وينزلونك فى فلوكه صغيرة ثم يخرجونك الى جزيرة قاحلة فتستمر بها حتى تلاقى حتفك وهكذا فعلنا بأسلافك .

فلما عرف هذا أمر باحضار مهندسى المملكة كلهم وأرسلهم إلى هذه الجزيرة ليعملوا له تصميم مدينة بها وأمر البنائين ومن اليهم بالبناء فورا ثم غرس فيها الاشجار المثمرة وأجرى الأنهار العذبة حتى صارت جنة رضوان

ولما انتهى العام اذا به يرى خادمه بالامس يجره اليوم ويوثقه كتافا ويقذف به فى أعماق الفلوكة فيجدف الفلايكي حتى يوصله إلى الجزيرة وهناك لاقى حياة طيبة ورزقا كريما

ومغزى هذا القول أن مدة الجنين فى احشاء امه هي الوقت الذى قطعه هذا المهاجر والموكب الذى لاقاه هو مقابلة أهل الوليد وفرحهم به ومدة العام فى المملكة هي الاجل المحدود ثم يهجره أحبابه وأقاربه عندما يفارق الحياة حتى أن كلا منهم يسعى لاخراجه من بينهم والفلوكة هي النعش والجزيرة

هي الآخرة فاما أن يغفل الانسان عنها فيكون مصيره كمن لقى حتفه وإما أن يتزود من دنياه فيجد الجزيرة عامرة كما وجدها هذا المفكر السعيد

سقت هذه الحكاية التى هي معنى الحياة كلها لألفتكم الى الاخذ بالاصلح الانفع وأن نعمل لدنيانا كأننا نعيش أبداً ونعمل لآخرتنا كأننا نموت غداً كما ينص القرآن الكريم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

ولنتكلم الآن عن هذه الزهرة النضرة من التاريخ هذه الزهرة التى يفوح شذى عطرها فيجد المؤرخ ارتياحا لترديدها وتجد المسامع لذة وبهجة فى الانصات اليها لانها سيرة من أبرك السير. سيرة لها تقديرها من العظة والتأسى ولها تأثيرها فى الاخلاق والاجتماع

سيدنا الخليل إبراهيم هو ابو الانبياء لانه عقب باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ويعقوب هذا هو اسرائيل الذى جاء من صلبه الاثنا عشر سبطا وكان من سلالتهم عظماء الانبياء. ويدخل المصريون في زمرة هذا النسب الغالى بان تزوجت السيدة زليخاء المصرية من سيدنا يوسف الصديق بعد عزيز مصر الريان بن الوليد

وسيدنا الخليل أيضا هو الجد الاعلى لمقام الرسالة العظمى حيث يتصل هذا النسب من واحد وثلاثين جداً وسبب هذا الاتصال أن السيدة سارة الخليلية لما رأت بعلها قد بلغ من الكبر عتيا ولم يعقب بسبب عقمها اقترحت عليه أن يتسرى بوصيفتها السيدة هاجر فانجبت منه سيدنا الصادق الوعد اسماعيل ولما فعلت الغيرة أفاعيلها فى نفس السيدة أشارت عليه أن يقصيها

وولدها إلى مكان سحيق فتركهما عند البيت المحرم كما سيجيء الكلام عن ذلك في محله .

ولما نشأ اسماعيل وترعرع تزوج من رعلة ابنة مضاض من بني جرهم ابن قحطان كما سيجيء أيضا فولدت له اثنى عشر ولدا تناسلت منهم العرب المستعربة وقريش منها وصفوتها سيد الخلق

فلنا الشرف معشر المصريين باننا اصهار العرب من جهة السيدة هاجر المصرية الصميمة ولنا الفخر أيضا بمصاهرة السيد المختار لان السيدة مارية القبطية ولدت له سيدنا إبراهيم الطفل الصغير المحبوب، وهي من صميم المصريين والتى أهداها اليه المقوقس عظيم القبط

منذ عشرين قرنا قبل الميلاد كانت أمة بابل العظيمة تقطن بالعراق العربي . وكانت تنعم في بسطة الملك وعزة الجاه وبجانب هذا كانت تتخبط في حلكة الجهل حيث ينحتون الاصنام بأيديهم ويعبدونها من دون الله تعالى

ولما كان هؤلاء القوم على فترة من الرسل وعكوفهم على هذه التماثيل يشعر بان كل نفس تتطلب الاتصال بالملأ الأعلى لتتعرف الى خالقها ومبدعها ولكنهم لما أرادوا الوصول ضلوا الطريق نعوذ بالله من هذا الضلال البعيد

وكان سادن بيت العبادة هو الوزير (آزر) ووظيفة السدانه هذه كانت لها المكانة السامية بين مناصب الدولة

وفى بلدة (أور) من هذه المملكة البائدة ولد سيدنا ابراهيم الخليل ويقول بعض المؤرخين أن آزر عمه وقدرباه والعرب تنادي العم بالاب

ويستندون على هذا بان الله سبحانه وتعالى لا يريد إلا أن يطهر ابا خليله من رجس الوثنية أما أبوه فاسمه (تارح) وبعضهم يقول إن (تارحا وآزر) اسم واحد كيعقوب واسرائيل

كان النمرود بن كوش بن كنعان طاغية التاريخ وجبار العصور الاولى هو المسيطر على ملك بابل وكان الحاكم بامره المستبد برأيه وهو أول من وضع التاج على رأسه وقد امتد سلطانه إلى كثير من بقاع الارض فكان أحد الاربعة الذين يحفظ لهم التاريخ انهم بسطوا نفوذهم الى اقاصي المعمورة وهؤلاء الاربعة هم النمرود هذا وشداد بن عاد وسليمان بن داود والاسكندر المقدوني

ولما رأى ما يتقلب فيه من عزة الجاه وسطوة الملك ادعى الالوهية ولماذا لا يدعيها وقد وجد الاخلاق فوضى والعقائد فاسدة؟ انه من باب اختيار أهون الشرين وأخف الضررين فانه ينطق ويعقل فيحترف هو الالوهية أولى من هذه الحجارة الصماء (انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور)

ظل على طغيانه وجبروته وقد غفل عن يد العدالة السماوية عندما تأخذ بتلابيبه فلا يستطيع الافلات من القصاص (ان الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)

رأى النمرود فى منامه أن كوكبا سطع فتغلب ضوءه على ضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لضوئهما من أثر فتفزع لهذه الرؤيا وكلف السحرة بتأويلها فأخبروه ان سيولد مولود من اهل السعادة يكون السبب فى ضياع الملك من

يده فامر بعزل الرجال عن النساء وأمر أيضا بابادة كل مولود من الذكور

ورأى ثانيا أن القمر قد طلع من ضلع آزر وامتد نوره بين السماء والارض وسمع قائلا يقول (قد جاء الحق وزهق الباطل) فنظر الى الاصنام فوجدها كلها منكسة على رؤوسها فاستيقظ فزعا مرعوبا . ولما علم آزر بهذه الرؤيا توجس خيفة أن تكون زوجه حاملا بالغلام المنتظر

ومن غريب الاتفاق أن النمرود كان يتوسم الاخلاص فى وزيره آزر فكان لا ينهاه عن مقابلة أهله وكان آزر بدوره يحافظ على هذا الاخلاص فكان لا يقترب من زوجه ولامر يريده الله تعالى قد رآها مرة فتاقت نفسه اليها ولم يمالك أن يمتنع عنها فحملت بالغلام المبارك ولكنها أخفت حملها حتى عن بعلها ضنا بجنينها أن يذهب فريسة الاضطهاد

وبينما النمرود جالس ذات يوم اذ انتفض السرير من تحته انتفاضة عظيمة جعلته كالمأخوذ المذهول ثم سمع هاتفا يقول (تعس من كفر باله ابراهيم)

وكانت هذه هي الارهاصات التى تسبق الحوادث الجسام ولا سيما مولد السعداء خلفاء الارض

أتمت السيدة (لونا) حملها وما أسهله عليها من حمل لا وحم ولا نصب ولا أرق ولا وصب ولما أحست بالمخاض أخفت أمرها وذهبت على غفلة من الرقباء ودخلت الى مغار وهناك وضعت جنينها الكريم فأضاء له المكان ثم تركته تحت رحمة القدر وعادت أدراجها وهي لم تعرف بعد أنه المولود الذى يرحم الله به الارض وانه آيته الكبرى وخليفته على خلقه

الى هنا قد وصل بنا الكلام الى ناحية واحدة من حياة سيدنا الخليل ابراهيم وهي مولده الشريف وسنتكلم عن باقى النواحى عن عقيدته وتكسيره الاصنام وتبكيت قومه بالقول والفعل ومحاكمته والقائه فى النار ونجاته منها وعن هجرته وعن نفي السيدة هاجر وما يتعلق به من ظهور زمزم وذبح ولده وبناء الكعبة والكلام عن الشعائر والمشاعر

كل هذا سنتكلم عنه بالتتابع إن شاء الله تعالى والسلام عليك يا أمتى العزيزة ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الثانية

هدايته وعقيدته

الوليد ابراهيم فى الغار — تردد أمه عليه — الذى خلقنى فهو يهدين — علم آزر بخبر ابنه — ابراهيم حاد السمع — ابراهيم يسأل أباه عن ربه — الراديو — ابراهيم يترك الغار — إبراهيم يفكر فى الملكوت — دفاع أصحاب المبادىء — عزمة المصطفى فى غزوة أحد — ولكن ليطمئن قلبي — جدله مع أبيه — الكلام عن العقوق — مراقبة القاصرين — الدواء الرجوع إلى الله تعالى — حنان ابراهيم لأبيه

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

إننا فى المقال السابق قد تركنا الوليد الكريم وحيداً فى الغار وقد أسماه مولاه ابراهيم ومعناه أب رحيم . تركته أمه بعد أن مهدت مهده وأعدت له لفائف تقيه العرى ثم أضجعته وقبلته بعد أن بللت خده الندي

بدمعة تحدرت عن كبد مذاب . وانها سدت عليه باب الغار خوفا عليه من الضاريات أن تفتك بجسمه الناعم ثم سارت وتختلج فؤادها لوعة أسى لا قبل لكاتب أن يلم بوصفها إلا اذا كابد الشوق وباشر قلبه حنان البنوة الغالية

كانت السيدة لونا امرأة كيسة رصينة فلم تشأ أن تطاوع عاطفة الحنو فتكثر الترداد على وليدها حتى تلفت الانظار اليه وتعرضه للمخاطر ولكنها تصبرت ثم عادت اليه بعد أيام ثلاثة وقد رأت ما أهالها وأزعجها حتى صارت كالمغشي عليه من هول المصاب . رأت السباع والكواسر مزدحمة على باب الغار فتيقنت أنها افترست الصبي وذهب بدنه الغض بددا فى أمعائها ولكنها شدهت عند ما اقتربت من مهده فوجدته سليما معافى ورأت الوحوش تتمسح به تبركا ولا عجب فهذه عناية الله تغنى عن مضاعفة العدة والعتاد هذا ولم تؤذها الوحوش كرامة له وكان النور المتصاعد من جبينه الوضاء يكاد أن يعشى بصرها فازداد حبها له وتحنانها عليه

كانت جدران الغار تحتجز جسده المبارك ولكنها لم تكن لتقو على احتجاب هذا الضياء . وانى للجدر والحوائط أن تحجب نور الهدى الذى يريد الهادى جل شأنه أن تهتدي الخلائق على ضوئه لتستبين طريق الحق والصواب

همست فى سرها وهجست فى خاطرها كيف يعيش الغلام طوال هذه الايام ولا يتناول شيئاً من الغذاء أو الطعام ولكنها الفته يمتص ابهامه ويعلم الله تعالى ما يدره هذا الابهام من عسل مصفى ولبن سائغ لذة للشاربين

واذا أردنا التدليل على العناية الصمدانية فى تغذيته فاننا ننقل ما يتحدث

به عن نفسه ذاكرا شاكرا نعمة ربه اذ يقول (الذى خلقني فهو يهدين والذى هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتني ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين رب هب لى حكما والحقني بالصالحين)

أطمأن خاطر أمه وارتاحت للعناية الصمدانية ترعاه وتكلؤه حتى صارت تقول (ما أرأف الهك بك يا ابراهيم) وكانت تردد عليه الحين بعد الحين فتقر عينها عند ما تشاهده ينمو نموا فائقا ويشب شبابا بالغا الى أن بلغ من العمر خمسة عشر شهرا وكأنه ابن سنين

ثم رأت أن تزف هذه البشرى الى أبيه وتخبره بنجابة ولده فطار لبه وجره الحنو الى الغار لتكتحل عيناه بمحياه الوسيم ولا تسل عن الحنين البالغ والعطف الكريم لهذا اللقاء العظيم . إنه غض طرفه لمشاهدة النور الخليلي وأحنى رأسه اجلالا لهذا الجلال فبعد أن طبع على جبهته قبلة حارة عرفه أنه أبوه فانتعش الصبي وارتاح لهذا العطف الابوي ثم سأل أباه من ربي ؟ فقال أمك قال ومن رب أمي ؟ قال أنا قال ومن ربك ؟ قال النمرود قال ومن رب النمرود ؟ فانتهره وأسكته لانه خشي أن تكون الحوائط لها آذان فتنقل الى النمرود صدى هذا الحديث الخطير فتنقض عليهم صواعق غضبه

وكانت خشيته تكون كثيرة لو أنه أدرك هذا القرن العشرين ورأى هذا الابتكار المدهش الذى ينقل الاصوات الى ابعاد شاسعة فهذا الراديو العجيب والمستحدثات بجانبه كلها دلائل قوية على عظمة الخالق ووحدانيته وقدرته فسبحان الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم . ثم ومن يدرينا أنه ربما كان فى زمنهم شيء من هذا القبيل تمشيا مع قول من يقول (أن ليس على

وجه الارض جديد) . أما الذى نقول به ونؤكده انه كان فى زمنهم جهاز قوي لالتقاط الصوت هو اذن ابراهيم الخليل فانه كان حاد السمع جدا يسمع نداء المنادى من مكان بعيد

إن قوى ابراهيم العاقلة لم تكن لتنضج بعد ومع هذا فانه ألهم هذا الالهام العالى حتى فهم أنه لا بد لكل مربوب من رب فسأل أباه السؤال المتقدم وقد ذكر هذا التفضل من المولى الكريم بالذكر الحكيم (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين)

طلب الصبي الى ابيه أن يبارح الغار فاخرجه معه وكان العجب يأخذ منه أي مأخذ لهذه المرئيات التى تمثلت أمامه ولم يكن رآها من قبل فكان يسأل أباه فيخبره بكل ما يحيط به من المسميات وأسمائها

ولما كانت هذه المدة تكفى لان تنسج على ذكر الغلام المنتظر عناكب النسيان لهذا قدمه أبوه إلى البلاط الملكي فكان محل اعجاب الجميع لجميل خلقه وفرط ذكائه

وهنا تبدو موهبة من مواهب الذكاء الفطري وظاهرة من ظواهر العرفان النوراني ذلك إن الصبى الكريم ابراهيم اجهد فكره حتى يصل الى معرفة خالقه جل شأنه وقد حباه مولاه بهذه المعرفة كما ينص القرآن الكريم (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فشرع يفكر (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا) يقول الراسخون فى العلم انه نجم الزهرة رآه متألقا بين النجوم (قال هذا ربى فلما أفل) أي غرب (قال لا أحب الآفلين) لان الاله لا يغيب ولو غاب فمن يدبر الامر بعده . هذا ما أدركه

الصبي الزكي (فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل) أدرك خطأه ثم (قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) وعندما أشرق عليه النهار (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاوما أنا من المشركين) وكان قومه يعبدون بعض الكواكب مع أوثانهم

وكان كبير الوزراء آزر لا يضن على قومه بان يباركهم بالآلهة فكان يصنع لهم الاصنام ليبتاعوا منها ما يشاؤون ولما كانت مهنة التجارة في الآلهة مهنة مبروكة في نظره كان يكلف ابنه الخليل ببيعها فكان ينادي عليها من يشترى ما يضره ولا ينفعه فما يكون نصيبها بالطبع إلا البوار. وكان يغمس بوزها في ماء النهر ويقول لها اشربي استهزاءا وتهكما .

تملكت عقيدة التوحيد من فؤاد الفتى العارف ابراهيم فصعدت به هذه العقيدة الى أعلى عليين حتى تفهم ابداع الوجود وعظمة الموجد جل شأنه . وعرف أن الآله واحد لا يتعدد وانه المهيمن على الكون بغير شريك ولا ند وأنه أحاط بكل شيء علماً وهو مقدر الاقدار ومؤجل الآجال

تركزت هذه العقيدة في أعماق نفسه فاصبحت مبدأ لا يتزحزح عنه قيد شعرة بل إنه يناضل ويدافع عن هذا المبدأ ما استطاع الى الدفاع سبيلا . وكذلك أصحاب المباديء السامية فانهم لا يفرطون في الاحتفاظ بمبادئهم والذب عنها بل ويدأبون على اظهارها للملأ حتى يعتنقها من كان نير البصيرة واسع الادراك . اما التردد وأما الرعونة فلا يمكن أن يلتئما مع الرجولة الصحيحة والانسانية الكاملة وإليك مثالا من المثل العليا التي

جاءت بها تعاليمنا المجيدة تعلمنا الاقدام والحزم

. ذلك إن قريشاً أرادت أن تثأر لنفسها بعد ما خسرت المعركة فى غزوة بدر الكبرى فاجمعت أمرها وجاءت الى المدينة المنورة بقضها وقضيضها تريد أن تجتث هذه النواة الصالحة قبل أن تورق افنانها ويتفيأ العالم ظلها الوارف ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره

وكان من رأي سيد الوجود عليه السلام أن ينازل القوم بين الدور فى المدينة ولكن فتيان الانصار أرادوا أن ينابذوهم بالعراء خارج المدينة إظهاراً لشجاعتهم وتباهياً بباسهم فعمل السيد الامين برأى الأكثرية واستعد للنزال فى ساحة احد

ولما عرف كبار المهاجرين وزعماء الانصار أن الانسان الكامل كان لا يود الخروج عتبوا على الشبان فاراد هؤلاء النزول ثانياً على رأيه السديد ولكنه أبى الرجوع بعد ما استعد ولبس لامة حربه وكيف يتردد فى عزمه وهو الحكيم الرشيد يرشد الامة الى الحزم وقوة الارادة ومضاء العزيمة مهما كلفه ذلك من ثمن

وكذلك كان الفتى العارف ابراهيم فانه كان يقيم الحجة على مخالفيه وكان يدافع عن مبدئه ولا يثنيه عن عزمه أي وعد أو وعيد وكان التردد لا يجد أي ثغرة يتسلل منها الى فؤاده الطاهر

وكان يهزأ بفساد ضمائرهم ويسخر من سخافة عقولهم وأي سخف أشنع من كونهم ينحتون تماثيلهم بايديهم ثم يعبدونها طائعين خاضعين وإذا ما تقادم العهد عليها يلقون بها فى أكوام القمامة

وما دمنا نتكلم عن العقيدة فقد سن لنا الفتى الصالح سنة حسنة تعمل بها هذه الامة المحمدية هي سنة تأمين القلوب بالعيان كما تقول تعاليمنا المجيدة فى الايمان إنه لا يصح فيه التقليد بل لا بد من اقامة البرهان للتثبت من صحته وحقيقته

إن قلبه الطاهر كان مفعما بالأيمان وباليقين ولكنه أراد أن يزداد بصيرة وسكينة بانضمام المشاهدة والعيان الى الوحي والاستدلال وقد جاء نص هذا بالذكر الحكيم (وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك) ويقول سادتنا العلماء أن هذه الطيور الاربعة كانت طاووسا وديكا وغرابا وحمامة . وفى اختيار هذه الاصناف من الطيور حكمة سامية دقيقة يعرفها أولو البصائر المبصرة وهي انه من أراد الدار الآخرة والحياة الخالدة فلا بد أن يهيء نفسه لها بأن يترك الزهو والزخرف المتصف بهما الطاووس والنفخة والصولة المشهور بهما الديك وخسة النفس والدناءة المعروفة عند الغراب والتسرع والميل الموسوم بهما الحمام

وقد أمر أن يضم اليه هذه الطيور ليتأملها ويتعرف أجزاءها وأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها إربا ويخلط أجزاءها ببعضها

ثم يقول القرآن الكريم (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) وكانت الجبال التى تحيط به سبعة أجبل وزع على كل جبل منها جزءا من أشلاء هذه الطيور الممزقة

وبعد هذا خوطب من مقام الربوبية العظيم (ثم ادعهن يأتينك سعياً) فلما قال لهن تعالين باذن الله تعالى صار كل جزء ينضم إلى باقى أجزاء جسمه حتى تكاملت الاعضاء كلها ثم أقبلت اليه مسرعات بقدرة الله تعالى الذى لا يعجزه شيء فى السموات ولا فى الارض

وهذه الحكم وأمثالها التى تتنزل من لدن عظمة الخالق سبحانه وتعالى لها تقديرها ولها قيمتها عند من يقدر الامور قدرها حيث فى تمزيق هذه الطيور اشارة دقيقة لحكمة بالغة هي ان من يريد أن يهيىء روحه للحياة الابدية عليه أن يقتل عوامل القوى البدنية ويمزجها ببعضها حتى تتكسر سورتها ومتى دعاهن بدعاية العقل أو الشرع يقبلن اليه طائعات مسرعات

اصطدم دفاعه عن العقيدة مع عاطفة نبيلة واجبة الاحترام هي البر بالوالدين التى وصانا الحكيم الخبير بها اذ يقول عز من قائل (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا)

أراد فتانا ابراهيم أن ينقذ أباه من وهدة الشرك فأخذ ينصحه ويذكره برهبة المقام الألهي العظيم ولكن هذا الوالد قد أخذته العزة بالاثم فقال (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا)

العقوق يا قوم خلة من الخلال الممقوتة لانها تفكك عرى الالفة وتفتت أواصر القرابة فعند ما ترى ولدك خارجا عن طاعتك لابد أن تنطفىء جذوة العطف الابوي وربما تبدل الحنان كراهة

يا رجال الامة . إن جرعة الحق ليست سهلة المساغ ولكن لا بد

عنها لأن الحق أحق أن يتبع فمعذرة اليكم لو قلت بصراحة إن تبعة إهمال الشباب واقعة عليكم لا محالة إذ تركتم له الحبل على الغارب فاندفع مع كل تيار

ان الزارع اذا زاد تحنانه على زرعه ومثلا أعطاه من الماء فوق طاقته لابد أن يذبل ويسقم حتى يصبح هشيما تذروه الرياح . وكذلك أنتم قد أفضتم عليهم كثيراً من الحنان والعطف حتى أدى بهم هذا الى الخروج عن طوعكم وحتى استعصى داء الجموح ولا برء منه الا اذا عدنا الى ناموس التكوين الطبيعي

الشرائع السماوية بل والقوانين الوضعية جعلت سناً معيناً للشباب لا يملك فيه أن يسير بشؤونه حتى يبلغ رشده لأن هذا السن هو سن النضوج وتحتاج القوى العاقلة فيه الى النمو تحتاج الاستفادة من المعارف الى الكمال . وهؤلاء القاصرون يكونون فى كنف قوامتكم كأمانة عندكم حتى يبلغوا أشدهم ولكن البعض قد استهان بأمر هذه القوامة حتى سار الشباب مع أهوائه بغير رادع ولا وازع وهذا يؤدى الى هاوية سحيقة ليست بذات قرار

يا رجال الامة . هل أدلكم على الدواء الناجع الذى يستأصل شأفة هذا الداء الوبيل ؟ عودوهم أن يرجعوا الى الله الذي ترجع اليه الامور . وبماذا يرجعون ؟ باقتدائهم بكم فارجعوا أنتم وهذا لا يكبدكم أي عناء ولا يكلفكم أي مغرم والدين هو نفسه مكارم الاخلاق والاخلاق كما تعهدون هي الدعائم التى يرتكز عليها كيان الامم

أرانى قد عدت فاقمت نفسي مرشداً وواعظاً ولى العذر . فما أملى

علي هذا الا عطفي على أمتي واخلاصي لها وانني أقسم أن لو استطعت أن أقلب البسيطة لاصلاح أمتي ماونيت ولو كان اسعادها بافتدائها بشخصي وباسرتي ما ترددت والله على ما أقول شهيد ووكيل

أنظر الى حنان ابراهيم وبر ابراهيم واستمع لما أجاب به والده بعد ما سمع من الغلظة والتهديد قال (سلام عليك سأستغفر لك ربي) أدب عال ونشأة صالحة ولكنه مع هذا البر فانه لا يضحي بالعقيدة إزاء هذه العاطفة بل إنه أصر على النكاية بأوثانهم وحلف تالله لاكيدن أصنامكم وسنتكلم في المقال التالى ان شاء الله تعالى عن تكسيره الاصنام وعن محاكمته والحكم عليه وما الى ذلك من ملابسات وتفصيلات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الثالثة

محاجتـــه ومحاكمته

ابراهيم كان أمة ـ وصول الدعوة الى النمرود ـ يحاجه في ربه ـ جاء وقت الغلام المنتظر ـ البابليون فى اعيادهم ـ يتخلف لسقمه ـ يكسر الاصنام ـ يحاكمونه ـ الحكم بالاحراق ـ كيف ألقوه فى النار ـ الملائكة يعرضون معونتهم ـ شدائد المصطفى وصحابته .. أذى عقبة بن أبى معيط ـ صبر سيدنا المصطفى وأناته ـ أذى بلال وعمار بن ياسر

أبدأ بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله والآل والصحب وكل من والاه وبعد

ان الفتى الكريم ابراهيم صار يكافح هذه العقائد الخاطئة وهو وحده صاحب الايمان الصحيح والعقل الرجيح والفكر السليم والقلب الرحيم كما وصفه القرآن الكريم (ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم)

نعم كان وحده قبسا من نور يشع على الانسانية فتهتدى على ضوئه الى الطريق الابلج الاقوم ولكنك لاتسمع الصم الدعاء ومن على بصره غشاوة لايرى الضياء

كانت غيوث العرفان تتدفق من دعوة ابراهيم حتى وصلت الى قصر الطاغية النمرود فطلب أن يحضر اليه الغلام وحاجه فى ربه اذ يقول ماهذه الدعوة التى انفردت بها وهل تعرف ان لك إلها غيرى؟ ومن هو الهك الذى تدعو إلى عبادته ؟ قال ابراهيم (ربى الذي يحي ويميت قال أنا أحيي وأميت) يريد انه يحكم بالاعدام على أي نفس فيميتها ويعفو عن أخرى حكم عليها بالموت فيحييها

ولكن اين يجول هذا الغر الجاهل وكيف يستطيع الثبات امام عزم النبوة الباهر . أفحمه ابراهيم بقوله (فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر)

شده النمرود بل وارتعدت فرائصه وساورته الهموم والهواجس عند ماقرعته هذه الحجة البالغة فتذكر الاحلام والرؤى القديمة التى اقلقت راحته ردحا من الزمن وتيقن أن قد صحت الاحلام وجاء الغلام المنتظر يثل عرشه ويدك قوائم ملكه فما كان أحد أبغض اليه من هذا الغلام. فماذا

يصنع هذا الداهية مع هذا الحدث الذى أتى بعقيدة جديدة خرج بها على قومه يريد أن يبثها فى روحهم ويلقيها فى روعهم

انه أبقى على الغلام وصرفه وهو يتربص به الدوائر حتى تحين الفرصة لمحاكمته . صرفه وهو يتعجب من جرأته ومجابهة قومه بمذهبه ولم يخش سطوة النمرود ولا يهاب جبروته

رأى الفتى ابراهيم أن الحجة القولية لا تنبت نباتاً حسنا فى هذه الارض الجرز فاراد أن يقيم الحجة العملية يقرعهم بها علهم يثوبون الى رشدهم ويدينون بالعبودية الى الواحد الديان الذى لا معبود سواه

انه كما ذكرنا بالمقال السالف قد بيت على الكيد لاصنامهم حتى يريهم أنها لا تضر ولا تنفع

كان من عادة البابليين أن يقيموا عيداً لهم فى كل عام يقضون أيامه خارج البلد والكل يهرعون اليه ويتركون طعاماً كثيرا فى بيت العبادة حتى عندما يرجعون من عيدهم يأكلونه هنيئاً مريئا مباركا قد باركته الآلهة كما يزعمون

طلبوا اليه أن يرافقهم ليشاركهم فى سرورهم ومرحهم فأبى الخروج لينفذ مأربه وقال انى سقيم وفى الحقيقة انه كان سقيم النفس حزين القلب يتقطع فؤاده الرحيم حرصا على قومه أن يلبوا نداءه وهو يدعوهم الى صراط العزيز الحميد لينالوا عز الحياتين وسعادة الدارين . وكانوا يتطيرون ويخشون العدوى ولا سيما وباء الطاعون الذى كان يتفشى بينهم فيعتزلون المصابين ويعزلونهم منفردين حتى ينالوا الشفاء ولما سمعوا من ابراهيم مقاله عن

مرضه (فتولوا عنه مدبرين) وعند ما رأى الجو قد خلا له ذهب الى بيت العبادة وكان خاليا حتى من السدنة انفسهم فوجد الطعام الذى أعدوه (فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون ؟ مالكم لا تنطقون) ؟وأين للحجارة الصماء أن تنطق وتعقل . ثم تناول الفأس التى هيأها لهذا الغرض وكسر الاصنام حتى جعلهم جذاذاً الا كبيراً لهم فانه أبقى عليه وعلق الفأس فى رأسه لعلهم اليه يرجعون

ولما انتهى العيد وعادوا ليأكلوا طعامهم بهتوا لهول ماراأوا وأسقط فى أيديهم عند ماوجدوا الآلهة كلها مهشمة فتساءلوا (من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون)

أرادوا أن يحاكموه محاكمة علنية حسب القوانين المرعية عندهم اذ التاريخ يثبت بين طيات سجله لامة بابل العظيمة انها أمة ذات ناموس وقانون ونظام

انعقد مجلس الحكم من القضاة والعدول المحلفين وأتوا بالفتى المتهم يحاكمونه فى جلسة علنية ثم يستنطقونه فى بيت العبادة بحضرة الكهان (قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)

يالها من حجة دامغة وبرهان ساطع قد صفعهم به صفعة كانت شديدة الوقع عليهم حتى أقبل بعضهم على بعض يتلاومون (فرجعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون)

أخذت المداولة دورا هاما واحتدم الجدل بين أعضاء المحكمة ومن عمالئهم حتى كادت كفة الحق أن ترجح فيبدو أبلج واضحا ولكنهم قد أخذتهم العزة بالإثم (ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) انهم مع استنكارهم لما هم عليه عاكفون تراهم يستكبرون أن يسفه أحلامهم غلام حدث وان يعيب عليهم معتقداتهم فيصرون على ضلالهم المبين.

أخذ يبكتهم ويقرعهم بالحجة اذ يقول (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون)

كانت على أعينهم غشاوة فلا يبصرون وفى آذانهم وقر فلا يسمعون وعلى قلوبهم أقفال مغلقة لا يصل اليها نور الهدى بعد ما وضح الصبح لذى عينين. وأخيرا تغلبت عاطفة الانتصار لاوثانهم على حكمة العقل فلم يميلوا لجانب الحق بعد ما تبين لهم

ظلت المحاكمة أياماً عديدة والقضاة يبحثون التهمة ويفحصون البراهين وبأغلبية ساحقة قرروا أن (حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) وكان فتانا الكريم آنئذ يناهز السادسة عشر من سني حياته الشريفة

انك لو سمحت أن تعود معي بالتاريخ الى عشرات القرون تعدها على أصابع اليد الواحدة حتى نرى أمة بابل العظيمة وهي مهتمة جد الاهتمام بأمر ذى بال يقيمها ويقعدها ونرى الغلام الصالح ابراهيم الخليل مكبلا فى غيابة السجن ينتظر نفاذ العقوبة

انهم عاقبوه بالاحراق ولا ذنب له إلا (أن يقول ربي الله) وكلمة التوحيد هذه لها قيمتها ولها اعتبارها فهي تقض مضاجع الطغاة وتقلق بالهم

حيث يتخلص الناس من ربقة استعبادهم وتتكشف بها خبايا أراجيفهم فيحذر كل انسان الوقوع فى شراكهم

كيف يحرقون هذا العدو اللدود؟ لابد انهم يحرقونه إحراقا يوازى لظى الحقد المتأجج فى صدورهم

ان شعلة من نار أو قبساً ضئيلا منها يكفى لاحراق مدينة باسرها ولكن حقدهم يملى عليهم أن تكون نار ابراهيم كبيرة وهائلة (وقالوا ابنوا له بنياناً فألقوه فى الجحيم) فابتنوا حظيرة واسعة ذات حوائط مرتفعة وشرعوا يجمعون الوقود

كانت الدواب تحمل الحطب والرجال يحملون الحطب والنساء يحملنه والولدان كذلك وكل هذا ليزيدوا سعير اللهيب حتى كانت المرأة تنذر للآلهة أن لو قضيت حاجتها لتجتهدن فى الاحتطاب لنار ابراهيم

والحق يقال إننى ماوجدت لهؤلاء القوم عملا أقرب الى الصواب من تقديرهم لابراهيم ومقام ابراهيم وكأنى بهم وقد فطنوا أنهم لا يحرقون فرداً بل هو أمة فيكون الحريق على مقدار عظمة هذه الامة

اندلع لسان النار وصعد اللهب الى عنان السماء حتى قيل إن الطيور لم تكن لتستطع العبور فوقه إلا لعلو شاهق جدا فكيف يلقون ابراهيم فى النار وهم لا يقدرون على الدنو منها؟

عمد الذى تولى كبر هذه المأساة الفاجعة وهو يدعى (هيون) من اكراد فارس الى اقتراح وضعه فى حوض وحذفه بواسطة المنجنيق.
والمنجنيق هذا كالأرجوحة يتأرجح الحوض عليه جملة مرات وهو مدلى

بالحبال ثم تفك العروة المعلق فيها الحوض فيسقط فى النار

جىء بالغلام الصالح مكتوف الايدى ووضع فى الحوض وبعد هزات قليلة كان الحوض فى النار

وهنا يقول سادتنا الراسخون فى العلم كيف ضجت الاملاك والافلاك لهذا الخطب الفادح. ولها أن تضج. لانه الفرد الوحيد على وجه البسيطة الذى يعبد الله تعالى حق عبادته ويقولون أيضاً إن بعض الملائكة الكرام عرضوا عليه معونتهم فقال أما اليكم فلا. فقيل له سل ربك. فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى

ألقى فى النار وان قلبه لمفعم بالايمان وان ثقته بالعتبات القدسية التى يلجأ اليها لا يعتورها أدنى شك أو أقل ريب حتى ولو كانت المنية فانه ينتقل الى دار الخلود وهو مرتاح النفس قرير العين

وهنا نستوقف القلم هنيهة ليستعيد نشاطه ويستدر قريحته حتى يسطر بمداد الاكبار والاعظام رباطة الجأش وثبات العزيمة التى بدت من هذه الشخصية الكريمة

عندما تقلب صفحات التاريخ ترى تلك السطور البارزة تنبئك عن مواقف الشهامة التى يقفها دعاة التوحيد والمصلحون من الامم فكم لهم من أثر صالح وانكار للذات وتضحية بالاطيبين النفس والنفيس فى سبيل انتشار مبدئهم واعتناق مذهبهم

انظر الى بدء الدعوة المحمدية ترى هؤلاء الافذاذ وقد باعوا أرواحهم رخيصة فى سوق التضحية ولهم وقفات مشرفة. صلابة فى الحق وتشدد

فى اليقين ثم تأمل الى سيد المصلحين فى أول أمره وهو يصدع بأمر ربه ويبث دعوته يحرص على هدى أمته والملأ من قريش يوجهون الى ذاته الكريمة أنواع الاهانة وشتى الاضطهاد

إن مرارتى لتنفطر أسى عند ما أذكر ان صاحب الرسالة العظمى وهو كما تعرف من سمو مقامه كان يصلى عند البيت المحرم ذات مرة ولما رآه عظماء قريش تآمروا أن يوجهوا اليه الاذى فقام الشقي عقبة بن أبى معيط واستحضر فرثا لجزور ذبح حديثا وألقاه على ظهره الشريف وهو ساجد والملأ يتضاحكون ويتغامزون ولم يجسر أحد على رفعه عنه حتى نمى الخبر الى السيدة الزهراء وكانت لم تزل يافعة بعد فاسرعت بالمجيء الى البيت المطهر وأزاحت الفرث عن ظهر أبيها الكريم وهي توجه أقسى عبارات اللوم والتوبيخ لهؤلاء المستهزئين الجاحدين

وما لى أزج بالقلم فأتركه يسترسل فى هذه الانباء التى تحلت بها بطون الاسفار والتى ترينا أن الانسان الكامل قد بلغ من حسن الخلق المكانة السامية والذروة العليا حتى أطراه مولاه (وإنك لعلى خلق عظيم) وانه قد بلغ بالاناة والصبر أن صار سيد الصابرين كما هو سيد الزاهدين والمتبتلين وسيد الناس أجمعين

وانه لا قبل لى وأنا فى حدود الكلام عن سيرة سيدنا الخليل أن ألم بطرف من الحياة الشريفة المحمدية وهي كلها عظات وتأسى وعبر كما ينص حديثه الشريف (حياتى خير لكم ومماتى خير لكم)

ولا بأس أن أنوه بعض الشيء عن المكاره التى لاقاها نجوم الهدى

صحابته الاكرمون فكم كانوا يستعذبون العذاب ويستطيبون الاضطهاد وقلوبهم عامرة بالتوحيد جذلة بحلاوة الايمان

انظر الى رجل مثل سيدنا بلال وهو من الموحدين المستضعفين كيف كان أمية بن خلف أحد صناديد قريش يذيقه العذاب ألوانا فيلقيه عاريا على الصخرة الحامية فى عز الهجير فيسيل المصي من جسمه فيطش على الحجر كما يطش الدهن على النار وظل فى هذا العذاب الهون حتى اشتراه سيدنا أبو بكر الصديق من أمية بن خلف وأعتقه لوجه الله الكريم

وإلى رجل مثل سيدنا عمار بن ياسر حيث يصلبه الحكم بن هشام المكنى بأبي جهل ويكوى جسده بمسامير محماة فى النار ويلبسه الدرع الحديد فى اليوم الصائف حتى يسخن عليه فيضايقه . وكل هذا رجاء أن يفتنوهم فيرتدوا عن دينهم الحنيف وهم لا يزدادون الا تمسكا به

واننا لو أردنا أن نعدد فضائل هؤلاء الغر الميامين ونستقصى سيرهم ونتتبع آثارهم لما وسع المقام ولكننا نجتزىء الكلام الى هذا الحد وسنتكلم فى المقال التالى ان شاء الله تعالى عن نجاة سيدنا الخليل من النار وعن هجرته والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الرابعة

نجاته وهجرته

صارت النار برداً وسلاماً — النار لا تحرق بذاتها — نداء الى السادة العلماء —

اكتشاف النمرود لحياة ابراهيم ـ خروجه سليما معافى ـ زواجه من السيدة سارة ـ ازماعه الهجرة ـ هجرة سيد المهاجرين ـ هلاك النمرود وقومه ـ هجرة ابراهيم إلى مصر ـ وفاء السيدة سارة ـ هبة السيدة هاجر وصيفة لها ـ بديهة أبي بكر الصديق ـ معجزة ابراهيم بديار مصر ـ الكلام عن مصر وحبها ـ الكلام عن الأخلاق .

أبدأ بحمد الله القوي المتين وأصلى وأسلم على رسوله الامين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

ما ذا فعلت النار بابراهيم ؟ انها أحرقت منه الوثاق حتى صار حراً طليقاولم تحرق منه شيئا آخر كذلك ولم تكن النار عليه بردا فقط بل كانت سلاما أيضا حتى لا يؤلمه البرد وقد انقلب مكانه الى روضة غناء يتنعم فيها بأطايب الحياة نعمة من الله وفضلا

وفى هذه النقطة أقوال للسادة العلماء يستدلون بها أن النار لا تحرق بذاتها بل إن خاصية الاحراق تصدر من لدن العزة الصمدانية وهذا بحث لا يحتاج الى كبير عناء فى التدليل عليه لان قدرة الله تعالى صالحة لكل شيء

وما يكون لى وأنا فى سياق السيرة الخليلية كمؤرخ فقط أن أتعمق فى البحوث الدينية بل إن هذا له أئمته من فحول العلماء الاجلاء الذين أجلوا الغامض وبينوا المفروض والمسنون

ولقد وصل بنا الحديث والحديث شجون الى خاطر يجيش بصدرى تدفعنى الغيرة لقوميتى أن أبديه الآن ورائدى الاخلاص

هذا كتابنا الحكيم يهيب بنا (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير

ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

وهذا حديث المصطفى صلوات الله عليه يأمرنا (إذا رآى أحد منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان)

فلهذا أصبح كل فرد منا بالتعميم مأمورا مع الاستطاعة أن ينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف ولكن هناك أمرا خاصا ومركزا ممتازا للسادة العلماء حيث إنهم يرثون سادتنا الانبياء فى الاضطلاع بالمحافظة على الدين وعلى الآداب وعلى الاخلاق

فأتقدم اليكم يا حماة الدين وحفظة العلم وأمناء الشريعة . أتقدم اليكم وبيدى فلذة من كبدى الممزق وبقية من شغاف قلبي المتقطع اسى وحسرة لهذه الثورة على العرف وعلى الاجماع وعلى العفاف

يا رجال الله . إن الدين الذى انتم حماته قد اصبح منبوذا يندب سوء المصير والشرع الذى انتم امناؤه قد تنكر له الناس لانه عتيق كما يقول الخراصون المنافقون

إن واجبكم ايها السادة ليس مقصورا على الوعظ والارشاد فحسب بل ان الداء اصبح مستعصيا ولا يفيد فيه العلاج إلا بالكي

ارفعوا الصوت عاليا لترجعوا الناس إلى الله يا رجال الله حتى يرضى الله عن عباده فتستقيم الامور وتعتدل الاحوال

المرأة المسلمة أصبحت عارية والرجل المسلم القيم عليها قد ترك قوامته خورا فى عزيمته وانتقاصا فى غيرته وتوهما منه ان ملازمة خدرها

يعد حجرا على حريتها فترك لها الحبل على الغارب

حكمتكم ايها السادة الاعلام وغيرتكم كفيلتان بان تقضيا على هذه الفوضى التى ضربت اطنابها بمعالم الاخلاق

هذا وانى الفتكم إلى امر لو خطوتم فيه خطوة لا بد وان يعقبها خطوات موفقة ذلك ان تواصلوا السعي لدى وزارة المعارف حتى تجعل تعليم الدين اجباريا بمعاهدها كما كان فيشب الطفل عارفا بحكم دينه متمسكا باهداب فضله وما ذلك على همتكم بعزيز

رأى النمرود فى منامه أن إبراهيم حي يرزق وبجانبه أنيس يؤنسه وكانت لهم فى زمنهم عناية فائقة فى تعبير الرؤيا فاراد أن يتحقق الخبر فاخترع طائرة يكتشف بها حال إبراهيم فى الحظيرة فاحضر طائرين من الجوارح يقال انهما نسران وربط على خشبة عالية تعلو رباطهما قطعة من اللحم كبيرة لكل منهما وربط الصرح فى أرجاهما فكانا يطيران لالتهام اللحم واللحم يعلو فوقهما والصرح يصعد معهما والنمرود وبعض حاشيته جلوس به فصار يحوم حول المكان حتى تبين أمر ابراهيم وما يتقلب فيه من نعيم

انتظر نيفا وأربعين يوما حتى هبطت النار وأخرج ابراهيم سليما معافى وهكذا يتولى الله تعالى أولياءه . وقد تعجب النمرود وقال ما أقدر الهك يا إبراهيم وما أكرمه لك ومن فرط اعجابه قدم أربعة آلاف من البقر قربانا لاله إبراهيم

تمثلت هذه الآية الكبرى والمعجزة العظمى فبهرت الخلق حتى

أوشكوا أن يتذوقوا بشاشة الايمان ولكن الخبيث قد آثر الحياة الدنيا وما يتقلب فيه من نعيم وسؤدد على شرف الايمان ونعمة التوحيد . ولم يؤمن مع ابراهيم الا قليل كتموا إيمانهم خوفا من الطاغية

وقد آمن له ابن عمه لوط بن هاران واخته سارة فتزوج منها سيدنا الخليل ومكث وهو محل احترام القوم بيدأنهم كانوا امنه على حذر واحتراس حتى لا يتمكن من بث الدعاية لدينه القيم فكان يرى من التضييق والضغط ما يراه العظماء المصلحون فى كل أمة . لهذا ارتأى أن قد وجبت الهجرة. والاخيار من الناس هم الذين يفرون بعقيدتهم ومبدئهم إلى أرض خصبة تزدهر بها دعايتهم الصالحة

إننا لو تتبعنا أدوار التاريخ لوجدنا كل هجرة للمصلحين تدر خيرا وبركة وكانت الهجرة المحمدية الشريفة رحمة للخلق أجمعين حيث انتشرت التعاليم القويمة وسرت الروح العالية فى كل الارجاء فاحيت موات النفوس وأفهمت الانسان أنه إنسان

عد بالتاريخ الى القرن السادس من الميلاد حيث ترى الدولتين المسيطرتين على المعمورة هما الروم وفارس وكان أصحاب الاقطاعات منهما يتخذون الشعوب عبيدا أرقاء يساقون كما تساق السوائم حتى جاء هذا الغيث المحمدي فاكتسح أمامه وخامة الاستعباد وأخذت الارض زخرفها وازينت

لاقى السيد المختار من الشدائد ما يلاقيه أولو العزم وهو فى مكة المكرمة مدى ثلاثة عشر عاما والمكابرون الجاحدون يريدون أن

يطفئوا نور الله بأفواههم ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

ولما توجهت عناية الله تعالى الى انقاذ خلقه من ظلمة الجهل الذى يتخبطون فيه ومن وهدة الفساد التى يترددون فيها ألهم سيد العباد بالهجرة فكانت هجرته رحمة للعالمين حيث عرف الناس معنى الحياة وفهموا أسرار الاخاء الحقيقي والحرية الصحيحة والمساواة التامة التى لا يعتورها أي انتقاص

فهنيء أنفسنا بهذه الهجرة بل ونهنيء أهل المشرقين وأهل الثقلين كافة بهذا الانتفاع الذى عم الكون طرا

بارح إبراهيم قومه وقد حقت عليهم كلمة العذاب حيث لم يؤمنوا بعد إذجاءهم الهدى وما إن تركهم إلا وسلط عليهم البعوض أضعف المخلوقات وقد دخلت بعوضة منه فى أنف الجبار النمرود فصارت تأكل فى خيشومه وكان لا يستريح إلا إذا ضرب على أم ناصيته نكالا من الله وجزاء وفاقا

هلك النمرود وقومه وصاروا كأمس الدابر (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)

ازمع إبراهيم الرحيل وظل فى مسيره إلى أن حط ترحاله بأرضنا المباركة أرض مصر المحبوبة واننا نعدها منة ونعمة حيث تعطرت أرجاء مصر بمقدمه السعيد

هبط أرض مصر وكان الملك المسيطر عليها سنان بن علوان أحد

ملوك العرب العماليق الذين تغلبوا على ملك مصر مدى أربعة قرون وكانت السيدة سارة الخليلية على جانب عظيم من الجمال فوشى بجمالها أحد بطانة السوء الى الملك فاستحضر سيدنا الخليل وسأله (ما ذا تكون هذه المرأة منك ؟.) انظر إلى الفطنة الوهبية التي حبا الله تعالى بها أنبياءه. فقد استنارت بصيرة ابراهيم حتى عرف أن مملكة مصر ذات ناموس وقانون موضوع ولا يجرؤ الملك فيها أن يجهر بالسوء أمام شعبه . فلو قال إبراهيم إنها زوجته لا بد أن يحتال الملك على ازاحته من طريقه باي وسيلة ولو بقتله حتى ينال بغيته فماذا إذن يقدم ابراهيم عنقه للجلاد وقد يتسنى له الخلاص ؟. فبعد إنعام الفكرة وإعمال الروية قال هي أختي. قال هذا وهو صادق لان الانبياء ديدنهم الصدق اذ هي فى الحقيقة أخته فى الانسانية وأخته فى الوطنية وأخته فى الدين وأخته في اللغة وأخته فى الدم لأنها ابنة عمه

وكانت لغتهم السريانية لأنهم من الجنس السامي المنسوب إلى سام ابن نوح صاحب الطوفان وهذا الجنس يتكلم باللغات الأربع وهي العربية والعبرية والسريانية والحبشية وكلها مشتقة من أصل واحد

ولما علم الملك أنها ليست بذات بعل أمر أن يذهبوا بها الى قصره . فماذا يصنع ابراهيم أمام هذا الفرعون الجبار ؟ إنه استسلم للاقدار توجهه انى شاءت مع ثقته بان الذى تفضل بنجاته من سعير النار يتفضل فينقذه من وصمة العار

أما السيدة الجليلة سارة فانها مثلت وفاء الزوجية الطاهرة باتم معانى

الوفاء حيث لم تكن لتعبأ بهذه الحلل ولا الحلي التي أغدقت عليها وما كان هذا الزخرف البراق ولا هذا البذخ الخلاب ليشغلا قلبها عن إلفها وحبيبها وعندها لو سا كنته فى كوخ حقير أحب اليها من قصره المنيف

وكان كل اهتمامها ينصرف الى طلب النجاة من هذا الفرعون وكانت على استعداد للفتك به مع التضحية بروحها حتى لا تفرط فى عفافها . وكيف يجسر أحد أن يثلم شرفها وهي حليلة خليل الرحمن ومن أعظم بيت قيل فيه (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)

وهنا يقول العارفون بعلم الحقيقة انه قد كشف الحجاب عن سيدنا الخليل فكان يرى حركات زوجته وسكناتها تطمينا لقلبه الطاهر

كانت تشل يد الملك عند ما يتقدم اليها ولما تكرر هذا أوجس منها خيفة ووجد أن لا مناص من اطلاق سراحها حتى يتقلص ظل الاوهام التى ساورته من جهتها فوهبها السيدة هاجر وصيفة لها وخلى سبيلها بعد أن وجه عبارات التأنيب لمن جاء بها إذ يقول انك جئتنى بشيطان لا بانسان

ولا يفوتنى هنا أن أنوه عن مثل هذه التورية جادت بها بديهة سيدنا أبى بكر الصديق وحذقه وسرعة خاطره . وسيدنا أبو بكر هذا كانت له خصال حميدة تشبه من بعض الوجوه خلال سيدنا ابراهيم عليه السلام وذلك انه لما كان فى طريق الهجرة الشريفة هو وزميله العظيم صفوة الخلق كان الناس يسألونه (من هذا الذى معك يا أبا بكر ؟) فيقول هو رجل يهديني السبيل فيظن السامع أنه دليله فى الطريق

أقام سيدنا ابراهيم بديار مصر وكان الناس يتبركون به لما ظهر من فضله حيث كان مثالا للفضيلة والتقوى وعزة النفس والعفة والقناعة وانا نذكر من معجزاته انه حصلت فى مصر مجاعة فذهب بعض الناس اليه طالبا لعطائه ولم يكن عنده شيء فارسل غلمانه الى خليل له من أهل مصر ومعهم الغرائر ليمتاروا منه فقال لو كان ابراهيم يريده لنفسه لفعلت ولكنه يريده للاضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس فتركه الغلمان ولدى عودتهم مروا على بطحاء لينة فملأوا الغرائر من ترابها استحياء أن يعودوا خائبين ولما دخلوا بالغرائر عند السيدة سارة كشفت عنها فوجدتها خبزا صافيا من فضل الله تعالى وكان سيدنا ابراهيم نائما فلما استيقظ وشم رائحة الخبز سأل من أين لكم هذا فقيل له من خليلك المصري فقال بل هو من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا

ان ذكر مصر سرى فى جسمى سريان الكهرباء وما ينبغى أن أمر على ذكرها مر الكرام باللغو بل انى أدع الرجل المبارك تتبرك به ديار مصر وأترنم أنا بمديحها وأتغزل فى حبها . إنى مدله وله بحب مصر متيم دنف فى عشق مصر وللناس فيما يعشقون مذاهب . فمن يلومنى أو يعذلنى وهذه البلاد التى لا تستطيع العربات ولا السيارات ولا القطارات السير فيها الا بالمفرقعات من تراكم الضباب . والبلاد التى لا يقدر أحد أن يمشى فيها حتى ينتفض كالعصفور المبلل بالقطر من هاطل الامطار كل أولئك تنغى شعوبها بالتشبيب بحبها

وهذه مصر جنة الدنيا وعروس المدائن قد جادت عليها الطبيعة

بخصب التربة وجودة الهواء وصحو الجو وصفو السماء وبليل النسيم وعذوبة الماء فلي العذر أن أهيم بحبها وأتدله فى غرامها ولى الفخر أن أقول (إنى لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا) وإنى لا أحبها من هذه الوجهة فحسب بل إن أجدادنا يكتبون لنا فى لوحة التاريخ باحرف بارزة (تلك آثارنا تدل علينا) فكلما أنظر الى آثارهم الخالدة أشعر بلذة السرور والغبطة للانتساب الى من فاضت من ناحيتهم غيوثه المدنية والحضارة حتى عمت جميع البلدان والامصار

وربما كان هناك من يقول لم الفخر بالعظم الرميم وهذا زمان قد تقضى وتتابعت بعده أحقاب ومصر تغط فى سبات عميق وقد فات هؤلاء أن رماد الرقاد والاغفاء قد غطى شعلة الذكاء فلما هبت رياح اليقظة جعلت تذروا هذا الرماد حتى تكشف الوميض ويوشك أن يصعد نوره الى قمة الكمال.

أيها المواطنون الكرام . بالطبع انكم تحبون مصر مثلي بل وأكثر فما لنا إذن لا نعمل لها كما يعمل المحب لخير محبوبه؟ هلم يا إخوانى ويا أخواتي نتكاتف على اعلاء شأن مصر ورفعة قدر مصر . وبماذا نصل الى بغيتنا؟ بشيء سهل جدا وبسيط للغاية . هو أن نرفع منار الاخلاق وعلى ضوئه يتبين لنا طريق الرشاد

وإنى أتخير كلمات عن الاخلاق أنقلها اليكم من كتاب المملكة الروحية للعالم الاسلامي تحت عنوان (حكمة شاعر العصر)

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا

وهذا بلبل مصر الصداح وصوتها الرخيم العذب يسمعنا من آيات بيانه ما يزرى بقول من قال (ما ترك الاوائل قولا لقائل) فشاعرنا العبقري قد ترك له الاولون فراغا ملأه دررا ولآلى وحكما غوالى إذ يقول

وإنما الامم الاخلاق ما بقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إنى أعجب بهذه القريحة الوقادة التى مثلت لنا الحياة الخالدة فى بيت من الجمان المنظوم يجدر بنا ان نجعله نبراسا نستضىء به عند ما تدلهم خطوب الاهواء. لعمرك إن الاخلاق هي الدعامة القوية التى ترتكز عليها حياة الامم حياة طيبة هادئة

الاخلاق هي التى تمنع هؤلاء الذين يسكبون جامات الراح فى أحشائهم نظير أن يفرغوا للاغريقى ما فى جيوبهم. والاخلاق هي التى تمنع اسراء الشهوات أن يتسكعوا فى الطرقات حتى يقعوا فى حبائل مثيلاتهم المتسكعات ويحشون جيوبهن من المال الذى تحتاج له الأسرة ويصلح به شأن العيال

الاخلاق هي التى تجعل البليد نشطا والجبان مقداما وهي أيضا تمنع الاشحاء أن يطمروا مال الامة فى باطن الارض ولا يخرجونه لنفع الامة أو على الاقل يخرجون ربع العشر منه كل عام ليبل ريق المعوزين

الى هنا نختم هذه المحاضرة وسنستأنف الكلام فى المقال التالى إن شاء الله تعالى عن رحلة سيدنا الخليل الى فلسطين وما يتعلق بها من ملابسات وتفصيلات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الخامسة

رحلته واقامته

رحيله عن مصر - وصوله بئر السبع - الكلام عن الحسد - قصة قابيل وهابيل - رحيله عن بئر السبع - اقامته بقرية الخليل - ذكر الطوفان - خصال ابراهيم - إفشاء السلام - روحانية الأولياء - روحانية المصطفى بالغار - الصحف المنزلة - صحف ابراهيم

انى أحمد اليكم الله خالق العباد . وأصلى وأسلم على منقذ الخلق من دمار الفساد وعلى آله وصحبه السادة الامجاد   وبعد

إننا تركنا الرجل المبارك ابراهيم الخليل يتأهب لمبارحة الديار المصرية وانه ليبارح هذه البلاد وهي فى أشد الأسف لفراقه بعد أن ترك من حسن الأثر ما حببه الى المصريين . ومن اصطفاه مولاه يعطف عليه قلوب خلقه . وقد شيعه كبراء القوم ووجهاؤهم حفاة مشاة مدى أربعة فراسخ تقديرا لمقام الراحل الكريم

كان ابراهيم زكي الرائحة حسا ومعنى حيث يتضوع منه عبير المسك الاذفر حتى عند ما يمشى من طريق أو يحل بمكان يعرف من طيب رائحته أن ابراهيم قد عبره . وكانت سيرته وطيب سريرته يفوح شذاهما أطيب من الطيب

كان حليما فى فطنة وتبصر ولينا فى حنكة وتفكر وكريما فى قصد

وتدبر . وكان من بركته أن تأنس به الوحوش وتتمسح به الضاريات ومن كانت هذه خصاله يحل المكان الاسمى بين شغاف القلوب

ارتحل حتى وصل الى بئر السبع هذا المكان المعروف بطريق صحراء سينا فنزل بها وببركته قد فاضت البئر فصارت عينا معينا يستقى منها هو وجيرته وماشيته ومكث بها وهو فى أرغد عيش وأهنئه الى أن أتاه هادم اللذات ومفرق الجماعات . ولست اعنى به الموت . بل هو شر منه. هو الحسد

الحسد كالمنجل الحاد يجتث كل عاطفة وكل محبة من قلب الحاسد ويولد فى نفسه البغضاء والكراهة للمحسود حتى يتمنى زوال نعمته الحسد هو الذى أراق أول دم على وجه الارض وذلك عند ما حسد قابيل أخاه هابيل وإنى لا أجد مندوحة أن أسوق بانجاز هذه الحكاية لما لها من علاقة بسيرتنا هذه

كانت أم البشر حواء تلد ولدا وبنتا فى بطن واحدة وعندما يشبان يتزوجان من بعضهما فلما تكاثر النسل أمر أبونا آدم أن يمنع زواج التوأمين ويزوج أخت أحدهما الى أخ الآخر فلما نزل هذا التشريع وعرض على قابيل بن آدم أبى ان يزوج اخته توأمه من أخيه هابيل ويتزوج هو من اخته والذى دعاه لهذا الاحجام ان أخته كانت على شيء من الجمال أما أخت هابيل فليست عندها مسحة منه

ولما شجر الخلاف بينهما امرهما ابوهما أن يقرب كل منهما قربانا فمن يتقبل قربانه هو الذى يحظى بالزواج من الحسناء . فقدم قابيل قربانه .

وقدم هابيل قربانه . وكان كبشا من الضأن فتقبل الكبش وكان هذا هو الحق لانه ينطبق على الحكمة المقصودة من التشريع . اما قابيل فان الحسد قد دب دبيبه فى نفسه فاضمر السوء لاخيه ولكنه لم يدر ما ذا يفعل حتى يوصل الاذي اليه وكان الناس لا يعرفون الموت بعد لانه لم يرهم قط وأخيرا عرف بطريقة شيطانية أن يشج رأسه فيسيل دمه وتزهق روحه ولما رأى أخوه منه هذا العزم والاصرار قال له (لئن بسطت الي يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين ـ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين)

ولما قتله تغيرت خلقته واسودت بشرته وصار مهموما عابسا حتى ضاقت عليه الارض بما رحبت فأصبح يهيم على وجهه فى كل واد وهو يحمل جثة أخيه على ظهره نحو العام ولا يعرف كيف يواريها الى أن قيض له القدر غرابين اقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم ان القاتل بحث فى الارض برجله فنبش قبرا فوارى فيه جثة القتيل فقال قابيل (يا ويلتى أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فاصبح من النادمين)

يقول بعض المفسرين ان الكبش الذى قربه هابيل هو نفس الكبش الذى افتدى به الذبيح اسماعيل وسنذكر هذه القصة فى موضعها

فالحسد يجب أن يطهر قلبه من ادرانه كل نابه وكل عاقل . حسد الناس ابراهيم الخليل حيث أصبح ذا مال ونوال مع توفر احترامه ووقاره فسول لهم الحقد ان تمتد اليه أيديهم بالاذى ولما تكرر اذاهم صدم

على الرحيل وكانت وجهته فلسطين هذه الارض المقدسة مهبط الوحي ومثوى الانبياء ومهد العرفان ومنبت العلم والنور

ارتحل ومعه من الدواب والانعام الشيء الكثير فلم يرضهم ان يأخذ معه هذا المال كله بل طلبوا اليه أن يشاطرهم إياه وحجتهم فى ذلك أنه حضر عندهم فقيرا معدما ويبارحهم غنيا مثريا . ولكنه بفطنته وذكائه أفحمهم الجواب وألزمهم الحجة حيث يقول اننى جئت اليكم شابا حدثا وأرحل عنكم شيخا هرما فاعطونى شطر شبابى أعطكم شطر المال فلم يحيروا جوابا ومضى لحاله تحدوه العناية الصمدانية

وما ان رحل عنهم حتى غاضت البئر وأجدبت الارض فاقتفوا أثره حتى لحقوا به واستعطفوه أن يعود ثانيا حتى تعود المياه الى مجاريها فأبى كل الاباء لأنه من أولى العزم الكرام الذين يتبعون القول الحكيم (فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) ولكنه لما ألحوا عليه جبر بخاطرهم فاعطاهم سبع عنزات وقال أوردوهم الماء فيفيض كما كان وأوصاهم أن لا تقرب البئر حائض ففعلوا وببركته ظلوا فى رغد من العيش وسعته حتى أهملوا الوصية فغاض الماء وجف الزرع والضرع ولم يعمر الوادى بعده

استمر فى تسياره حتى هبط واديا يسمى (اللجون) وحط ترحاله ببلدة (حبرون أو حبرى) التى هي قرية الخليل الآن بين الرملة وايليا (بيت المقدس)

بعد أن مر على خلق أبى البشر آدم ٢٢٤٢ عاماً جاء الطوفان فدمر

ما على وجه الارض من عمران ونبات ومن حيوان إلا ما أخذه سيدنا نوح معه فى السفينة من كل زوجين اثنين لحفظ النوع ومن كل انسان إلا من ركب السفينة وكانت عدتهم ثمانين شخصا هلكوا جميعاً ولم يبق إلا أولاد نوح الثلاثة وهم (سام) وهو أبو العرب والروم وفارس (وحام) وهو أبو السودان و(يافث) وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج. ولهذا يذكر التاريخ ان نوحا أبو البشر الثانى بدليل ماجاء بالذكر الحكيم (وجعلنا ذريته هم الباقين)

إنى أمسك القلم عن الاسترسال فى تفصيل أخبار الطوفان لانه خارج عن سياق حديثنا ولكن هذا لا يمنعنى أن اعترض على من يذكر إن الطوفان كان موضعيا فقط ولم يعم العالم أجمع وان الغرق لم يتجاوز الكوفة وما حواليها وهي المركز الذى فار منه التنور ويدحض هذا الزعم ما ذكر بالتاريخ ان عيون الماء فارت جميعها وأخرجت ماءها على وجه الارض وإن السماء أرسلت مطراً مدرارا كان يهطل بشدة وعنف مقدار أربعين يوما حتى غطى الماء رؤوس الجبال وعامت السفينة وظلت تجرى فى موج كالجبال وتحوم حول العالم كله وبعد أن مكث الماء ستة أشهر وأياما نودى من قبل مولانا اللطيف الخبير أن (يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي) وهو جبل بارض الموصل

جئت بهذه الفذلكة القصيرة لأذكر أن المدة ما بين الطوفان وابراهيم وهي ١٠٨١ عاما تناسل فيها من أولاد نوح سلالة كثيرة كونت عدة ممالك ونشأت شعوب وأمم مختلفة ولم يبعث من الانبياء أثناءها

سوى سيدنا هود لقومه عاد وسيدنا صالح لقومه ثمود

وعند مبعث سيدنا ابراهيم كان يعاصره الكنعانيون بالشام والعماليق بمصر والقحطانيون بالحجاز وغيرهم وكان الخلق منصرفين الى المادة . بصائر مظلمة وقلوب طبع عليها وعقول تائهة فى بيداء الجهالة ونفوس هائمة لا يلوى عنانها هداية أو تشريع فجاء سيدنا ابراهيم بخلقه وخلقه يشذب من حدة الهمجية ويخضد من شوكة البهيمية إذ أنه أول من اختتن وخرجت سنة اختتان النساء من بيته المطهر

ومن لطيف ما يروى عن ذلك ان السيدة سارة تكدر خاطرها من جهة السيدة هاجر فحلفت لتملأن يدها من دمها فأراد سيدنا الخليل أن يبر قسمها بغير أن يؤذى هاجر فأمرها ان تخفضها وتتلقى الدم الذى ينزل فى يدها ففعلت ومن وقتها صار ختان النساء سنة يعمل بها

ويقول بعض المؤرخين أن سنة الختان عملها السيد ابراهيم ليعرف قتلاه من قتلى الكنعانيين فى حرب أثيرت بينهم

وهو أيضا أول من قلم الظفر وفرق الشعر ومشطه ونتف الابط وأزال العانة وما اليها

وأول من استنجى بالماء وتمضمض واستاك وأول من صافح باليد وعانق فى السلام .

وافشاء السلام تحث عليه الملة الحنيفية ومن الاسف انك لترى هذه الفضيلة قد تبدلت اليوم بعادة مرذولة هي أن لا يسلم عليك أحد إلا إذا حصلت على شرف التعارف بجنابه مبدئيا وإذا تدخلت معه فى كلام

بغير تعارف يعدونك فضوليا ثرثارا وكأنى بهم وقد باعدت الغفلة بينهم وبين الحكمة فى افشاء السلام حيث انه يبدل الوحشة بالانس ويوثق روابط الالفة ويحبب الناس بعضهم الى بعض

وسيدنا ابراهيم أيضا أول من ثرد الثريد وأضاف الضيف وكان يمشى الاميال لارتياد الاضياف حتى سمى أبا الضيفان ومن اكرام مولاه الكريم له أن جعل الضيافة عند برزخه لا تنقطع إلى يومنا هذا يعرف هذا كل من زار قبره الطاهر ببلدة الخليل

هذه الخصال الشريفة والخلال الحميدة جدير بصاحبها أن يكون خليفة الارض التى يرثها عباد الله الصالحون . وهذه الفضائل وهذه السجايا تجعل مقامه مقام أمة كما وصفه القرآن الكريم (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا)

أقام بهذا المكان الذى اختاره الله له . هذا المكان الذى جاءته السعادة طائعة وأتاه الشرف يسعى بين يدي مقدم خليل الرحمن : أقام مع أهله وعشيرته والطائفة القليلة التى آمنت له وهو ناعم البال هادىء النفس لرسوخ ايمانه وثبات يقينه . انك لترى هؤلاء الابرار بأشباحهم فتتمثل لديك بشريتهم كسائر البشر ولكنهم فى الحقيقة يرقون بروحانيتهم الى الملأ الأعلى فيتعرفون أسرار الكون وتتكشف لهم الاستار والحجب فينعمون بمشاهدة الانوار ولذة النظر إلى ابداع الملكوت والجمال وتصفو نفوسهم وترق قلوبهم حتى تمحى منها هذه الآثار المادية فلا يعبأون بما يحيط بهم من نشب وحطام أولئك الذين هدى الله وأولئك هم المفلحون

يذكر التاريخ من سيرة سيدنا ومولانا الانسان الكامل إنه لما كان هو وصديقه الكريم مختبئين فى الغار عند الهجرة الشريفة وقد نظر سيدنا أبو بكر الى باب الغار فرأى اقدام القوم فأخذ القلق يساور نفسه الزكية ويقول لرفيقه العظيم لو أحنى القوم رؤوسهم لرأونا رأي العين فيقول له صاحبه سيد الكائنات بلسان المؤمن المتيقن (لا تحزن إن الله معنا) وقد انصرف القوم بعد أن رأوا العنكبوت مخيما على باب الغار والحمامة الورقاء راقدة على بيضها كما يقول به أصحاب السير

ولكن شيئا روحانيا آخر جاء به سيد الوجود إذ يشير إلى صديقه أن هون عليك فاذا جاؤوا الينا من هنا نخرج من هنا وأشار الى الجانب الآخر المقابل لباب الغار فنظر أبو بكر فوجد بحراً خضما تتلاطم أمواجه ووجد سفينة تتأهب لان تحل مراسيها وتمخر عباب اليم فازداد راجح الايمان ايمانا وتصديقا اذ فى هذا التمثيل تبشير بقرب الفرج

ذكرت هذا لأبين أنه لابد لكل إنسان أن يتصل روحيا بالملأ الاعلى ومن يصطفيهم مالك الملك تعالت عظمته يكشف عن بصيرتهم فيشعرون بهذا الاتصال كل بحسب درجته وقد يحجب هذا الاتصال عن أغلب الناس لانهما كهم فى معايشهم وتفرغهم لسعيهم

إننى أجهر بهذا القول ولا أخشى عنت المتعنتين ولا تهكم المستهترين بعد إذ جاء العلم الحديث كعلم تحضير الارواح وما اليه يثبت لنا هذا الاتصال بل ويثبت خوارق العادات أيضا

إنك إن تعجب فعجب حال الناس اليوم حيث كان المنتظر بعد أن

جادت القرائح بالغريب المدهش من الاختراعات وجاءت المدارك بالتفنن العجيب من الابتكارات وهذا التلفزيون يريك المتكلم معك من ابعاد بعيدة . أمع هذا ننكر على اهل الكشف كشفهم وعلى اهل الاتصال اتصالهم ؟ وقد جاءت لنا اكتشافات القرن العشرين بما يوطد ايماننا ويثبت عقيدتنا فمن لم يؤمن بالبعث فليؤمن الآن ومن يتردد فى التصديق بان الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس فى وقت واحد وهو سريع الحساب فليصدق الآن اذ ان شخصا واحدا يتكلم من المذياع بالراديو فيسمعه اناس كثيرون من احياء وانحاء مختلفة . كان ينتظر ان يمتلىء الناس يقينا وتقوى لتحققهم من قدرة الله تعالى كما ورد بالذكر الحكيم (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ولا سيما العلماء الذين ينقبون دفائن الارض ويستخرجون كنوز الطبيعة ولكن القلوب قد طمست من هذه القشور المدنية وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

ولم لا يهنأ إبراهيم ويقر عينا والامين جبريل يؤنسه حتى قيل إنه هبط اليه اثنتين وأربعين مرة مدى حياته الشريفة وقد أنزلت عليه صحفه العشرة ويقول الذين عندهم علم الكتاب إن الصحف المنزلة عددها ١٠٤ منها ١٠ لآدم و ١٠ لابراهيم و ٥٠ لشيث و ٣٠ لادريس والتوراة والزبور والانجيل والفرقان

وإننا نذكر عنهم من باب العلم بالشيء على سبيل البركة والموعظة الحسنة بعض ما فى صحف إبراهيم من البينات

أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها

إلى بعض ولكن بعثتك لتنصر دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر. ومنها ـ وعلى العاقل أن يكون له ساعات. ساعة يناجى فيها ربه ويتفكر فى صنع الله. وساعة يحاسب نفسه فيما قدم واخر. وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال. ومنها ـ وعلى العاقل أن يكون بصيرا زمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه. من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه

يكفى اليوم هذا القدر من القول وسنبدأ المقال التالى إن شاء الله تعالى بشىء من القدوة الصالحة فى حب الوطن وعن مولد السيد الصادق اسماعيل واقصائه مع والدته الموقرة وما يتبع ذلك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة السادسة

حب الوطن ـ اخراج أهل الحرم ـ العقوق بالوطن ـ مولد السيد اسماعيل ـ امامة ابراهيم ـ صداق سارة ـ النساء والتبرج ـ الكلام عن الغيرة ـ الكلام عن المتشككين ـ هاجر وطفلها عند البيت ـ دعاء ابراهيم ـ عودة ابراهيم الى فلسطين ـ الحكمة من وجود هاجر بهذه البقعة ـ نفاد الزاد والماء ـ سعي هاجر ـ ظهور الماء

حمداً لمبدع الكائنات وبارىء النسم وصلاة وسلاما على رسوله وآله وصحبه أولى الهمم .وبعد

ان سيدنا ابراهيم الخليل كان كامل الايمان حسن العقيدة لهذا كان يحب

وطنه وحب الوطن يقدسه المؤمنون المخلصون . وكيف لا يعطف الانسان على وطنه ويفتديه بمهجته وهذه السوائم تحن إلى أوكارها والاطيار تصبو إلى وكناتها

هل أتاك حديث المثل الصالح فى حب الاوطان عند ما أخرج القوم سيد الابرار من أم القرى بلده وموطنه . هـذا البلد الذى أقسم به الله تعالى لشرفه ورفعه قدره وخصوصا وانه قد ازداد شرفا بوجود سيد الاولين والآخرين إذ يقول عز من قائل (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) وما أدراك بما كان يخامر قلبه الطاهر من الشجن والحزن لهذا البعـاد حتى صار يبتهل ويضرع لمولاه (اللهم إنك أخرجتنى من أحب البقاع الي فاسكنى أحب البقاع اليك)

كان حادث هذا النأي شديد الوقع على نفسه الكريمة فذكر القرآن الحكيم هذه الشدة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) وبيان ذلك كما يقول السادة أهل التفسير إن العرب كانوا يعظمون شهر رجب الفرد فلا يقتتلون فيـه حتى كان يسمى رجب الاصم لعدم قعقعة السلاح به وكانت قريش تعير سادتنا الصحابة بأنهم انتهكوا حرمة هذا الشهر عند ما تربصت سرية الصحابي الجليل عبد الله بن جحش ابن عمة السيد الكامل وتصدت لعير قريش فقتلت منها عمرا بن عبد الله الحضرمي وكان الوقت أول رجب والصحابة

يظنونه آخر جمادى . فجاء الرد عليهم من قبل السماء ان إخراج صفوة الخلق والسادة المهاجرين من بلدهم وموطنهم أصعب وأشد من القتل فى الاشهر الحرم .

ألا نستدل من هذا ان الوطن عزيز وغال ؟ ويجب أن نعزه وأن نخلص له الحب . والوطني المخلص الذى يحب وطنه ويتمنى له الخير يحسن به أن يبتعد كل البعد عن العقوق بالوطن

أليس من العقوق بالوطن أن ينفق الوطني مال الوطن فيما لا ينفع الوطن والوطن فى شدة الحاجة الى هذا المال ؟

أليس من العقوق بالوطن أن يعبث الوطني باعراض الوطن ثم هو يستغنى عن التناسل المشروع وقد يعتز الوطن بسلالة بنيه الابرار ؟

أليس من العقوق بالوطن أن تمشى السيدة الوطنية ومواطنها توجه لها الكثير من هزج القول وفحش الكلام وهذه المرأة هي من بنات الوطن ويجب علينا أن ندخلها فى كنفنا ونشملها بحمايتنا ؟

يا رجال الأمة . هذه أمكم الرءوم مصر العزيزة . مصر الكنانة المحبوبة تمد يدها اليكم وتناديكم (هذه يدي فى يد من أضعها ؟ .)

فخذوا أنتم بيدها وواسوها بان ترفعوا المستوى الخلقي فيها

هذا الوطن المفدى يناشدكم البنوة البارة أن تنقذوه وتنشلوه من هذه الكوارث الاخلاقية حتى يعتز ويسعد

كانت السيدة سارة عقيما لا تلد وكان ينغص عليها أن ترى بعلها الوفي الأبي يتطلع الى النسل فاشارت عليه أن يتسرى بالوصيفة الكريمة

السيدة هاجر فانجبت منه غلاما زكيا هو سيدنا الصادق الوعد اسماعيل (وإسماعيل لفظ عبري تعريبه مطيع الله). ولدته وليدا عفيا سمينا ولا غرو فهذا الشبل من ذاك الاسد ولقد ورث الفتوة والقوة والمعرفة عن بيته المطهر. ولا تسل عما داخل قلبه الطاهر من الجذل والسرور حتى انتعشت نفسه الكريمة وقرت عيناه بهذا الفرح والحبور ولكن ما عتم أن عصفت أعصار شديدة من الحزن والشجن اثارها قلق السيدة سارة واضطرابها من الغيرة التى لحقت بها فأحرمتها الهدوء والهجوع حتى لم تطق النظر الى الغلام وامه فكلفته أن يقصيهما إلى أقصى الاماكن فلم يجد بدا من الانصياع لأرادتها والطاعة لأمرها. وإنها لم تكتف بهذا النفي بل استحلفته أن يتركها فى منفاها ولا ينزل عن الدابة الى أن يعود اليها وذلك لكيلا يتمكن من الجلوس معها

تبارك الذي جعلك للناس إماما يا مولانا الخليل. قد أنعم عليك مولى النعم بهذه الامامة وجعلها ثابتة باقية لك إلى يوم البعث والنشور. فالانبياء كلهم من نسلك وقد أخذ عليهم جميعاً العهد بان يتبعوا ملتك الحنيفية

أبصر بك وأسمع. كنت القدوة الصالحة والاسوة الحسنة لجميل العشرة بين الازواج فكنت لا تخالف لزوجك رأيا ما دام هذا الرأي قرين الصواب. وكنت كثير الطواعية حتى تطرف بعض المؤرخين فيقول (إن إصداق السيدة سارة على زوجها كان طوعه لها)

يا قوم إن المرأة هي النصف الآخر للرجل فهو يسعي دائما لتكميل

نفسه بهذا النصف الآخر ليركن اليه ويحنو عليه ويشاطره الحياة كل فى حدود وظيفته

زوجة وفية أمينة بصيرة فلماذا لا تكون محل ارتياح الزوج ولماذا يشا كسها فيكدر صفو العيش وينكت عش الزوجية ؟ . لماذا لا يطيعها فى القصد والاعتدال ويبادلها العطف والحب ؟

أما التى يجب أن تحرم من هذا العطف وهذا الحب هي التى تسترسل مع أهوائها وتهجر خدرها إلى هزيع من الليل وتذهب مع نزقها فى البذخ والترف حتى توقع مالية البيت فى الارتباك .

لا ريب أنه يوجد فى أمتنا العزيزة نساء هن مثال الطهارة ونموذج العفة فضلا عن تحليتهن بحلية الآداب والمامهن بشىء غير قليل من لباب المدنية وعلى جانب عظيم من الثقافة والتهذيب . فهؤلاء النسوة الشريفات يخرجن عن متناول بحثنا

أما الذى أعنيه والذى أبحث فيه هو الزبد الذى يوشك أن يذهب جفاء وهذه الرغوة التى تعلو المرجل وهو يغلى بنار التهاون فى الاخلاق

ومن عادة الحروب أن يعقبها آفات واوبئة والحرب العالمية الكبرى كانت آفتها ووباءها الثورة على الاجماع الامر الذى يئن من جرائه العقلاء من كل الامم

فان كانت هذه المقلدة المتبذلة تظن أن المدنية تنحصر فى البروز بهذا التبرج والزي الفاضح فقد أخطأت الظن وبعدت عن الصواب وإنى لأقسم غير حانث إن كثيراً من مفكرى الافرنج يتألمون لجنوح

سفينة الاخلاق حتى لتكاد ترتطم بشعاب الدمار

يا رجال الامة . انتم الأساة الأطباء فافحصوا بمبضعكم هذا الداء العياء واعملوا على استئصاله قبل استفحاله ولا يزال هناك بقية من الامل فى الرجوع إلى الحق فلتستبقوا على هذه البقية قبل أن يتسع الفتق على الراتق

أناشدكم الله والقومية أيها القوامون أن لا تتخلوا عن القيادة وتتركوا جنودكم فى مفترق الطرق يتخطفهم سوء المصير

هذا ولما كان الغرض من سياق هذه السيرة الخليلية هو العبرة والعظة وقد مر بنا الكلام عن عاطفة الغيرة فيحسن بنا أن نعلق عليها بعض الشيء

الغيرة طبع غريزي فى الانسان فاذا وجدت انساناً محروماً من هذه العاطفة فثق أنه مصاب بمرض اخلاقي خطير ويحتاج إلى العلاج . وهذه العاطفة عندالمرأة أكثر منهاعندالرجل فيجب على الزوج أن لايجرح هذه العاطفة من زوجه ويكون أمامها متحليا بحلية الكمال قدوة حسنة للاسرة بأسرها لا يرى منه أولاده إلا كل مليح من الاخلاق جميل . وليس معنى هذا أن يكون عبوسا متحجراً كالذى يعنيه سيدالحكماء بقوله (أتدرون من هو شر الناس ؟ شر الناس هو الذى يدخل بيته فتسكن زوجه ويهرب ولده)

نعود إلى سيدنا الخليل حيث نراه قد تأهب لامتطاء البراق و يأخذ السيدة وطفلها الى أرض الحجاز مكان البيت

وهنا يتشكك أحد المؤرخين فيقول إن ابراهيم كان رجلا حصيفا فكيف يتقولون عليه انه يترك هذه الوالدة وولدها وهما ضعيفان ولا يملكان ما يتبلغان به سوى مزود صغير به شيء من الزاد وركوة بها قليل من الماء . وقد فات هذا أن المسببات مرتبطة باسبابها وعندما يريد الله أمراً يهيء أسبابه وستعرف السبب من سياق الحديث

يجول فى بعض الخواطر أيضا فكرة جديرة باستيفاء البحث فيها وهى إنه عند ما أراد سيدنا إبراهيم أن يخفف الموجدة عن نفس السيدة سارة ويقصى هاجر بعيدا عنها لماذا لم يفكر فى إعادتها لوطنها مصر العزيزة وهي تمد اليها ذراعيها فتحتضنها وتحدب عليها وقد تلقى ببلدها مرتعا رحبا وموئلا سهلا ؟ . وإذا كان لا يريد العودة إلى مصر مرة أخرى فلماذا لا يذهب بها إلى الشام وهي على قيد مراحل قليلة وبها جنات وعيون ومقام كريم ؟ . ولماذا يلقيها وطفلها العزيز بهذا الوادى البلقع ؟

إنك لتعرف السر وتفهم جليته حيث يتضح لديك أنه ما حصل هذا إلا تمهيدا لاقامة البيت المشرف وأن ينشأ من ذرية اسماعيل سلالة طيبة يقيمون الصلاة ويعمرون بيت الله تعالى

دعنا من هؤلاء المترددن وتعال نتتبع خطوات السيد إبراهيم حيث يظل فى مسيره حتى يقف عند مكان البيت فينزل السيدة وطفلها ولم ينزل هو عن الدابة وفاء لوعده وهو أهل الوفاء والصدق ثم يوليهما ظهره ليعود أدراجه

أنظر إلى هذه البصائر المستنيرة التى تستمد نورها من لدن حكيم خبير تر السيدة الوقورة وهي تركن إلى التسليم لاقدار السماء وترتاح اليه ثم أستمع لما تقوله هذه التقية النقية . أين تتركنا وتذهب ياإبراهيم . آالله أمرك بهذا؟ قال نعم . قالت إذن لا يضيعنا . ما شاء الله . سبحان الذى يسخر من يشاء لما يشاء

انحدر معى قليلا من الربوة الحمراء مكان البيت العتيق حتى نصل إلى الثنية ثنية كداء حيث نرى السيد الجليل إبراهيم يتحسر جوى ولوعة لبعاد فلذة كبده وحشاشة قلبه وحيده وبكره الذى رزق به بعد أن شارف العقد التاسع من حياته الشريفة . كان يصعد الزفرات فتبخر حرارتها ماء العين حتى تكونت بين الجفون عبرة كادت تفيض وما حبسها إلا حابس الوثوق بالالطاف الالهية . هنالك لجأ إبراهيم إلى باب مولاه ثم دعاه

(ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)

كانت أبواب السماء مفتحة لقبول دعاء ابراهيم حتى صارت الوفود تترى إلى هذا المكان المقدس وصارت تجبي إليه ثمرات كل شيء حتى أن الفاكهة لا تنقطع عنه في أي وقت ومن فضل الله تعالى أن تجتمع فيه فواكه الفصول الاربعة فى وقت واحد

لنترك السيد إبراهيم يعود إلى مهبط الوحي ومهد النور والعلم بيته

المطهر ليحيط زوجه المصون بنتيجة مأموريته لتهدأ ثائرة غيرتها فتريح وتستريح

ثم نعود إلى المكان الذى تركنا عنده السيدة هاجر حتى نقف خاشعين نخر للاذقان أمام هذا التبتل والانقطاع الى الله تعالى. نرى الامتثال للقضاء المحتوم مصحوباً بالصبر الجميل والاناة المحمودة. نرى هذه السيدة الورعة التقية وهي تزرع النواة الصالحة فى هذه البقعة المباركة حتى تنبت نباتاً حسنا فتصير دوحة عظيمة وارفة الافنان يتفيأ ظلالها العالم طراً فتقيه من سموم الجهالة وتحجبه عن هجير الضلال

أنظر إلى الطفل العظيم إسماعيل وقد جيء به ليكون أصلا لهذه الأرومة الشريفة وجدا للعظماء ولاة البيت وسدنته وحفظة الحرم وأهله وعشيرته. جيء به ليخرج من صلبه أمة عريقة تبهر العالم بما تنشره من تعاليم عالية وشرعة قويمة. أمة قد خبأها القدر لتكون كالبدر المنير يفتقد فى الليلة الظلماء

أي وأبيك إن الناس كانوا يتخبطون فى ظلام دامس حيث يسيرون على غير هدى ولا كتاب منير وكانوا يهيمون فى فيافى الضلال والبهتان وسوس الفساد ينخر فى عظام الانسانية حتى أنهك قواها وتسفلت إلى الحضيض ثم نظر الله تعالى بعين رأفته ورحمته إلى خلقه فأنقذهم ببركة دعاء إبراهيم

(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا أنت إنك التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم

آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)

ظهر هذا النبي الامي والرسول الامين المنوه عنه بدعاء إبراهيم وكان يقول عن نفسه (أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي)

ظهر النبي الأمي الذى ملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأها هدى ورحمة وتفجرت ينابيع الحكمة الفياضة من شرعه ومهاجه فاحي الانفس بعد موتها وأخصبت الارض بعد جدبها وازينت وأنبتت من كل حسن من الاخلاق جميل

أنشأ الاسلام مدنية لا كالمدنيات السالفة حتى ولا اللاحقة . مدنية دعت الناس إلى الاخذ بكل ما يصلح لهذه الحياة الاولى فى حدود الامر المباح وكانت دعوته إلى الحق وإلى صراط العزيز الحميد لهذا كنت ترى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا حتى اتسع نطاق ملكه إلى المشرقين فكان أمير المؤمنين المأمون العباسي يخاطب السحابة بقوله . سيرى أنى شئت فستمطرى لى ذهبا . يقصد بهذا أنها لا بد أن تحط حملها بأرضه لاتساع ملكه

كانت المدنيات السالفة تتعمق فى بحث الروحيات والالهيات وتطوى كشحا عن الماديات . وهذه المدنية المعاصرة تبحث فى الماديات وتضرب صفحا عن الروحيات . أما مدنية الاسلام فقد ضربت بسهم وافر فى كليهما حيث ترى فى تعاليمها عز الحياتين وسعادة الدارين

فاذا انهارت هذه المدنية الضخمة الفخمة فليس الذنب ذنب الاسلام بل إثم ذلك واقع على الذين ينأون عن فضائل منهجه القويم . وقريبا سيجىء

اليوم الذى يعتز فيه الاسلام ويسود لانه يتمشى مع الفطرة وانه أيضاً هو الحق الذى ينفع الناس فيمكث فى الارض

مكثت السيدة هاجر تأكل من الزاد وتشرب من الماء إلى أن نفد كلاهما واستمرت جائعة عطشى حتى جف ضرعها فلا يدر لبنا يروى ظمأ الطفل ولم تجد شيئاً من الماء يبل ريقه وقد ثقل عليه ألم العطش حتى شارف الحشرجة

تصور حالة أم منقطعة عن العالم وطفلها تتميع نفسه فى يديها وكلما اشتد به الظمأ كلما اقترب من الابدية ويوشك أن يلفظ النفس الاخير وتذهب نفسها حسرات عليه

تركته مكانه وقامت هائمة على وجهها وهي تعدو وتهرول وقد رفعت طرف درعها . وهنا نذكر للسيدة نقيبة محمودة ومأثرة جميلة ذلك إنها كانت أول من جر الذيل من النساء للزينة من جهة ومن جهة أخرى لتستر بدنها المبارك . سارت حتى قرعت صفاة الصفا وهو الجبل الصغير فى آخر المسعى ثم عادت أيضا هائجة مذعورة لهول مصابها فى وحيدها وما صدها الا جبل المروة وهو الجبل المقابل للصفا ثم عادت إلى الصفا مرة أخرى وهكذا سعت سعي المجهود سبعة اشواط حتى سمعت حفيف الملك فأنصتت اليه وأصاخت باذنها وهي لا عهد لها بحس أحد حى ولا حفيف شجر أو هفيف طير أو زئير حيوان

جاء الملك وبحث بجناحه فنبعت عين ماء ردت لهفة السيدة فأروت طفلها وقد سرها أن ترى الحياة تدب فى جسده المبارك وارتوت هي

أيضا وكان الماء يسيل من العين حتى قيل فى هذا (يرحم الله أم اسماعيل لو لم تحجز الماء لكان عينا جارية)

نرجىء الكلام إلى المقال التالى وسنذكر فيه ظهور زمزم والحكمة من السعي وما يتعلق بذلك إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة السابعة

زمزم والسعى

المتكلمون عن سيرة الخليل ـ مصادر الاخبار ـ شخصية إبراهيم ـ أحسابه الانبياء ـ أبوه ليس نجاراً ـ ابتكار الراديو ـ انتقاد الخطباء ـ الاسلام يقرر حقوق المرأة ـ نشر الخطبة بالجرائد ـ ظهور زمزم ـ الحكمة من السعي

الحمد لله مفيض الاحسان والنعم والصلاة والسلام على رسوله كريم الشيم وعلى آله وصحبه ذوى الفضل والهمم وبعد

إننى قبل أن أسبح فى لجة هذه السيرة المباركة لاستنبط من لآليها المتألقة سمطا ثمينا يتحلى به جيد الدهر . قبل هذا أقول

إن هذه السيرة المباركة كبدرات المسك كلما قلبتها كلما عبق ضوعها فتهش النفس لهذا العبيق وينتعش الفؤاد . سيرة جليلة لها قيمتها ولها خطرها بالرغم عن أنف هؤلاء الانانيين الذين يريدون أن يحتكروا الكلام وأن يحجروا على سواهم أن يخط حرفا أو يفوه بكلمة ولو كانت هذه الكلمة من أحكم الحكم . يرفعون عقيرتهم فيقولون إن الذين يتكلمون عن

النهار أن يصلي الله تعالى عليه وعلى آله كما صلى على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين إنه حميد مجيد. شخصية هذا شأنها لا ينكر فضلها إلا كل جاحد أفاك

يقول بعضهم إن أبا إبراهيم كان نجاراً يصنع التماثيل ويبيعها على الملأ من البابليين. وهذا لعمرك افتئات على التاريخ وطمس لمعالم الحقيقة حيث أن الانبياء لا يبعثون إلا فى أحساب قومهم وإنك لا ترى نبيا وضيعا بين عشيرته حتى يتمكن من بث دعوته تحت كنف أهله وعترته

فلو كان أبو ابراهيم نجارا كما يعرفون لما كان أحد يعبأ بقوله أو يقيم له وزنا وهذا التاريخ يثبت باجلى بيان أن قومه حاكموه محاكمة علنية منظمة اعتناء واهتماما بأمره. ولو كان ابن نجار لكان خامل الذكر فاقد الكرامة فلا يتسنى له الوصول إلى أكبر بيت يعظمونه هو بيت آلهتهم فيجعلها ركاما ويسفه أحلامهم ويعيب على آبائهم إصرارهم على ضلالهم

نستخلص من هذا أن ابرهيم كان وجيها فى قومه ومن عائلة عريقة يتقلد زعيمها منصب رئاسة الوزارة فى دولة ذات ناموس وأنظمة لها مدنية يثبتها لك المنقبون عن الآثار

أللهم إلا إذا كان أهل المدنيات الغابرة فى القرون الاولى يهتمون بأمر الصناعات فلا يعتبرونها حرفا دنيئة كما ننظر نحن اليها الآن فيحترف الامير أو الوزير أو الحاكم حرفة فوق وظيفته تقديرا لاهمية الصناعات كما تقدرها شريعتنا المطهرة حيث تجعل الصناعة فرض كفاية يأثم أهل القرية جميعاً إذا لم يكن بها نجار يعمل لها الباب والضبة أو حداد يصنع لها القفل والمفتاح

النهار أن يصلي الله تعالى عليه وعلى آله كما صلى على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين إنه حميد مجيد. شخصية هذا شأنها لا ينكر فضلها إلا كل جاحد أفاك

يقول بعضهم إن أبا إبراهيم كان نجاراً يصنع التماثيل ويبيعها على الملأ من البابليين. وهذا لعمرك افتئات على التاريخ وطمس لمعالم الحقيقة حيث أن الانبياء لا يبعثون إلا فى أحساب قومهم وإنك لا ترى نبيا وضيعا بين عشيرته حتى يتمكن من بث دعوته تحت كنف أهله وعترته

فلو كان أبو ابراهيم نجارا كما يعرفون لما كان أحد يعبأ بقوله أو يقيم له وزنا وهذا التاريخ يثبت باجلى بيان أن قومه حاكموه محاكمة علنية منظمة اعتناء واهتماما بأمره. ولو كان ابن نجار لكان خامل الذكر فاقد الكرامة فلا يتسنى له الوصول إلى أكبر بيت يعظمونه هو بيت آلهتهم فيجعلها ركاما ويسفه أحلامهم ويعيب على آبائهم إصرارهم على ضلالهم

نستخلص من هذا أن ابرهيم كان وجيها فى قومه ومن عائلة عريقة يتقلد زعيمها منصب رئاسة الوزارة فى دولة ذات ناموس وأنظمة لها مدنية يثبتها لك المنقبون عن الآثار

اللهم إلا إذا كان أهل المدنيات الغابرة فى القرون الاولى يهتمون بأمر الصناعات فلا يعتبرونها حرفا دنيئة كما ننظر نحن اليها الآن فيحترف الامير أو الوزير أو الحاكم حرفة فوق وظيفته تقديرا لاهمية الصناعات كما تقدرها شريعتنا المطهرة حيث تجعل الصناعة فرض كفاية يأثم أهل القرية جميعاً إذا لم يكن بها نجار يعمل لها الباب والضبة أو حداد يصنع لها القفل والمفتاح

وقبل أن أدخل فى سياق السيرة المباركة أيضا أسبح اسم ربي الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى ألهم العقول بالبحث فى علوم الطبيعة ووجه المدارك الى ابتكار المفيد النافع للخليقة الانسانية . أسبح اسمه تعالى وأمجده حبانا بمننه وشملنا باحسانه وكرمه وانعم علينا بنعمة هذا الاختراع المريح المزيح للهموم والاحزن

إنك لتجلس فى عقر دارك بثوبك الفضفاض الرحراح مؤتنسا باهلك وذويك متكئا على فراشك الوثير فتفتح صماما لجهاز الراديو فيسمعك المطرب المعجب . يتحفك بكل طيب من القول حيث تسمع النصائح الادبية والفوائد العلمية والوصفات الطبية والملح الفكاهية والمحاضرات الاخلاقية فضلاعن الاسطوانات الغنائية والهزلية والحفلات الموسيقية . سل السيدات فى خدورهن ينبئنك عن ارتياحهن لهذا الاختراع لأنه أصبح يؤنس السيدة فى وحدتها ويسليها فى عزلتها وهى مطمئنة جذلة فى خبائها

أرانى أسهبت فى الاطناب بهذا الجهاز وما ذلك الا إنى أحب منه الاستماع الى خطب الخطباء وهؤلاء قوم يثابون ويشكرون لاضطلاعهم بتثقيف الأمة والترفيه عنها . يؤجرون لأنهم يفنون ذرات أجسامهم وينهكون قواهم وعافيتهم فى هذا السبيل . ولمناسبة الخطابة أبدى اعتراضا أوجهه الى الخطباء برفق وهوادة وليس من قبيل الاحتجاج الشديد أو الهين حيث ان الحسنات يذهبن السيئات

اعترض عليهم أن يبتدؤا بقولهم (آنساتى . سيداتى . سادتى) ومن

الغريب إن أغلب الخطباء يدين بالاسلام ومن نصائح الاسلام الثمينة إن كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله أو الحمد لله فهو أقطع أو أبتر وليست الطامة آتية من ناحية اهمال التيمن بذكر الله تعالى فحسب بل انهم يخرجون على الناموس الطبيعي فيقلبون الوضع ويعكسون التكوين لان آدم خلق اولا ومن بعده حواء ثم من بعدهما ابنتهما فعندما نعد نقول. واحد. اثنين. ثلاثة. أي رجل. امرأة. بنت. او بلغة الخطباء (سادتي. سيداتي. آنساتي) هذا إذا كان البتة من التخصيص اما اذا اكتفوا بان يقولوا (سادتي) لدخل كل مخاطب في هذا الخطاب من باب ادماج الخاص في العام

اننا نقلنا هذا عن الافرنج قلدناهم فيه لضعفنا والضعيف دائما يقلد القوي وهذا التقليد هو مرضنا الاجتماعي الذي ينهك قوميتنا او يقضي على عاداتنا وبيئتنا

كانت المرأة في العصور الاولى تباع كما تباع السلع وكانت كمية مهملة لا ارادة ولا كرامة لها فلما لاح صبح الفلاح وظهر نور الاسلام قرر حرية المرأة وكفل لها حقوقها وادخلها في المواريث وخول لها حرية التصرف في امورها الخاصة وحث الرجال على العطف عليها ومعاشرتها بالمعروف ومعاملتها بالحسنى وخص الرجال ايضاً بالقوامة عليها حتى يجعلوها مصونة كالزهر في كمه أو كاللؤلؤ المكنون في صدفه

سل الأندلس لتعود معك الى مدنيتها العظيمة التي اقتبستها من تعاليم الاسلام القويمة وقد فاضت غيوث حضارتها إلى ما يجاورها من أرض الفرنجة فاخصبت العقول واستنارت البصائر حتى عرفوا المعنى الحقيقي

للحرية والاخاء والمساواة

ولما رأوا ان المرأة المسلمة تتمتع بحظ وافر من العزة والكرامة ولها المقام المحمود بين اقوامها أرادوا أن يحطموا قيود تقاليدهم ويعطوا للمرأة نصيبا من الحرية . ولكنهم تطرفوا فيه الى ان أنزلوها غير منزلتها فجعلوها تتقدم الرجل فى المجالس وتجلس على يمينه فى المآدب والمحافل وارادتها تعلو إرادته ومرضاتها فوق مرضاته . وهذا لعمرك خروج على العرف واللياقة وبعد عن الصواب والحجا وجحود بأوامر السماء

هذا وان ما منينا به من الاندفاع فى هذا التقليد الاعمى لم يأت الينا من خطباء الراديو اليوم بل إنها فكرة قديمة اثارها هؤلاء الناصحون الذين يلبسون أثواب النسك والعبادة ليتقنوا دورهم فى بروز المرأة واختلاطها لحاجة فى نفس يعقوب . وإنى أسوق اليك القصة التالية لتعرف من أين تسرب الينا هذا الوباء

سمعت رجلا عظيما يخطب فى حفلة كبيرة فيقول سادتى . وكنت أود أن أقول سيداتى وسادتى . كنت أود أن اقول ذلك لان للسيدات دخلا كبيراً فى نهضة الاقوام عموماً وإن لهن فى نهضة مصر خصوصاً ذلك الاثر الجميل وآمل أن يأتى يوم أسمع فيه خطباءنا يبدأون خطبهم بتلك الكلمة التى كنت أود من صميم فؤادى أن ابتدىء بها . إن السيدات المصريات أظهرن فى النهضة الحاضرة من الشجاعة ما أعجب به كل واحد منا بل ما أعجب به كل ناظر الينا وقد وقفن موقفا نال إعجاب الجميع أما هن فقد كان موقفهن فخارا لنا لانهن كتبن باعمالهن المجيدة صفحة من

أحسن الصفحات فى تاريخ النهضة المصرية فقولوا معى أيها السادة جميعاً (لتحي السيدة المصرية)

كلام مليح لانه يذكر ما للمرأة من أثر صالح فى نهوض الافراد والجماعات وكثيراً ما نرى فى بطون الاسفار ما تحدثه المرأة من الحماس فى نفوس الرجال عند المهمات وهؤلاء العرب الكرام كانوا يصحبون نساءهم فى غزواتهم لتدب الحماسة والشهامة فيهم وهذا ماتدعو اليه ظروف خاصة . اما الاختلاط الذى يدعو اليه الخطيب فانه خروج على عقائدنا وتقاليدنا وهو ايضاً يشغل المرأة عن اداء وظيفتها فى المجتمع

ولما كان هذا الكلام يخالف مبدئى فقد كتبت بجريدة الاخبار فى العدد الصادر بتاريخ يوم الجمعة ١٥ ابريل سنة ١٩٢١ كتبت المقال بلهجة هينة لطيفة لما للخطيب من مكانة فى نفوسنا فقلت

قد يتسرب الوهم إلى بعض القلوب الضعيفة بان عبارة الخطيب المفوه فى مفتتح خطابته ترمى إلى ان يتأبط كل منا زوجه إلى المآدب والحفلات ليوجه الخطيب كلامه إلى السيدات والسادة كما يفعل الافرنج بل يود وهو المصري الصميم ونابغة الازهر وفقيه التشريع الشرعي والوضعي أن يستمع النساء كلام الخطباء من وراء حجاب كما كان يتبارى الشعراء فى حضرة السيدة سكينة ابنة الحسين تسترها الحجب والاستار لان السيدة المصرية قد اخذت بمجامع قلوبنا جميعاً لما قامت به من ضروب التشجيع للرجال وحثهم على الجهاد الوطني مع محافظتها على الوقار والحشمة كما تقتضيه

عاداتنا القومية فنكرر لها الهتاف (لتحي السيدة المصرية)

وعلى اثر ذلك كتب الاستاذ حسن حافظ بجريدته الصباح بالعدد الصادر فى يوم الخميس ٢١ ابريل سنة ١٩٢١ تحت عنوان (او دعوة إلى السفور ؟)

فبعد ان اوضح الكلمات التى فاه بها الخطيب فى مستهل كلامه قال :

قال خطيبنا هذا ففهم الناس أنه يؤيد مبدأ المرحوم قاسم أمين ولا حرج عليهم اذا فهموا هذا من قوله ذلك فى تلك الحفلة التى لم تحضرها سيدة ولم تكن للاشادة بذكر السيدات فلو لم يرد تأييد ذلك المبدأ لكان له عن تلك الكلمات منصرف ومتحول وهو خير من يزن كل كلمة بميزان. ثم قال

ولكن نعود فنسائل أنفسنا أيريد خطيبنا ما تدل عليه ظواهر كلماته مما يطرب له السفوريون أم يريد شيئاً آخر غير مافهمه هؤلاء وأولئك ؟ وإذا كان يريد أن تصبح نساؤنا سافرات ويدعوا الى السفور فهل يكون لإرادته ودعوته أثر أكبر مما أحدثه من سبقوا الى هذه الدعوة ؟. إلى أن قال

ولقد نشرت الاخبار فى اليوم التالى للخطاب كلمة لحضرة مصطفى محمد الراعى أحد كبار التجار. وبعد أن كتب كلمتنا السالف ذكرها قال.

وكنا نقبل على الرأس والعين أن يكون هذا قصد الخطيب وإذا كانت كلمة الراعى لم تنف ما وقر فى أذهان القوم سواء من كانت قلوبهم ضعيفة ومن كانت أفئدتهم قوية فقد دلت على مبلغ حرص المصريين عامة

والمسلمين خاصة على التمسك بالحجاب

ذكرت هذا لأبين أن الفكرة قديمة وكانت تختمر فى بعض الأدمغة وقد خرجت من حيز القول وبرزت المرأة مندفعة مع هذا التيار الجارف ومن سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة

ما اخالنى إلا قد أطلت عليكم وأنتم تتعجلون أن تشنفوا اسماعكم بذكرى السيرة الخالدة سيرة الوجيه الكريم إبراهيم الذى ذكر فى كثير من آيات الذكر الحكيم بالتبجيل والتكريم

أعود بكم إلى حيث تركنا السيدة الوقورة هاجر وقد عادت اليها الحياة وعاد اليها الهناء بنجاة طفلها المحبوب من مخالب المنية عند ماظهرت عين الماء كرامة لهما

أتدرون ما هذه العين التى نبعت ؟ هذه هي زمزم التى قيل فيها (زمزم لما شربت له) فهي تروى إذا أردت الري وتشبع إذا لم تجد قوتا وقد يأذن الله تعالى بالشفاء إذا انتويت الاستشفاء

وهذه هي زمزم التى يذكرها الناس فى أوقات كثيرة عند ما يرى أحدهم الآخر يتوضأ يقول له (من ماء زمزم)

وهذه هي زمزم التى يتضلع الحجيج منها فى نسكهم وعباداتهم ويتبركون بمائها المبارك

وهذه زمزم التى كانت من مفاخر سادات قريش حيث يتولون السقاية منها

إننا نتأمل مليا فى أمر هذا السعي وما الحكمة منه . هذه السيدة

هاجر قد هاجها التياع طفلها فسعت وهرولت تبحث عن الماء طالبا للنجاة وما لنا معشر الساعين نجهد أنفسنا فى هـذا السعي مدى هذه الاشواط السبع ؟

إننى عند ما أصدر أمراً لبيتى لا أصدره إلا إذا تحققت من صلاحيته وفائدته . وكذلك أنت عنـد ما تتولى قيادة أي شأن تجتهد أن توجهه وجهة حسنة صالحة . فاذا كان هذا شأننا نحن العبيد الضعفاء فكيف بالقادر الذى لا يعجزه شيء والحكيم الذى لا يدبر الملك سواه والعليم الذى لا يعزب عن علمه مثقـال ذرة فى الارض ولا فى السماء ؟ بالطبع إن أوامره اللدنية العالية كلها الطاف وكلها حكم وكلها لمحض الخير للعالم الانساني

إنى عند ما سعيت هذا السعي فى الحج ما خرجت منه إلا وأشعر بتعب فى ساقي الامر الذى دعانى للتفكير فى الحكمة من هـذا الاعياء فالفيت السبب ظاهرا وواضحا كل الوضوح

فالسعي يقول لنا بلسان فصيح بين إنكم لا تبلغون مناكم ولا تنقاد لكم آمالكم إلا بالسعي فاسعوا إلى الامام وإلى الامام دائما حتى تكونوا سادة الأمم

السعي هو الجسر الموصل الى طريق النجاح والفلاح ونحن أمة تحتم علينا تعاليمنا أن نسعى وأن نجد ونكدح لرخاء أوطاننا ويسرها . وهـذا القرآن الكريم يحثنا على السعي فى كثير من آياته الشريفة

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ـ وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى ـ هو الذى جعل

لكم الارض ذلولا فامشوا فى منا كبها وكلوا من رزقه واليه النشور) انا امة عمل وليس التواكل والتقاعد من شيمتنا . فنداؤنا حي على خير العمل . وشعارنا لا تنس نصيبك من الدنيا . ومبدؤنا السعي على المعاش يكفر كثيرا من السيئات

وشعيرة السعي هذه تضرب لنا أحسن الامثال بالسيدة هاجر حيث أنها وهي ضعيفة لتركيبها النسوي ومتعبة لما حاق بها من ألم ومضطربة لحالة طفلها كل هذا ولم تنل بغيتها إلا بالسعي الحثيث جريا وراء الماء

وهناك أيضا حكمة رائعة يجب أن نقدرها قدرها وهي ان هذا السعي يذكرنا أن نشكر لمولانا المنعم عز وجل على نعمته الكبرى بان من على السيدة هاجر فانقذها وطفلها العظيم من هلاك الظمأ وانبع لها من فيض إحسانه ماء زمزم حتى يخرج من نسله سيدنا رحمة العالمين فينقذ العباد من مهلكات الفساد

نقف إلى هنا وفى المقال التالى إن شاء الله تعالى نتكلم عن تربية سيدنا إسماعيل وعن قصة الذبيح والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الثامنة

قصة الذبيح

الجرهميون والعمالقة بجوار الماء ـ إبراهيم يزور ولده ـ من هو الذبيح ؟ ـ حفر زمزم ثانياً ـ عبد الله الذبيح الآخر ـ الحكمة من قصة الذبيح ـ واجب التضحية ـ فريضة الزكاه ـ

حمـدا لك اللهم وشكرا لنعمائك التى لا يحيط بها العد والحصر .
وصـلاة وسلاما على رسول الله وآله وصحبه الذين نالوا بصحبته كل
الفضل والفخر وبعد

لقد تناسل من العرب القحطانيين قبيلة جرهم وكانت تبسط جناح
سيادتها على الحجاز ومعهم بقايا العمالقة ولما نبع المـاء عند البيت المشرف
كما أسلفنا آنفا أقبلت الطيور عليه فنظر رجال القبيلة اليها وهى تحط بهذا
المكان وإنهم ليعرفون أن الاطيـار لا تقع إلا على ماء فارسلوا واردهم
يرتاد المكان ولما وجد الماء عاد فبشرهم فعينوا وفدا من وجهائهم ليتفاوض
مع السيدة هاجر على أن يردوا الماء إزاء أن يكفلوا لها حاجاتها المعيشية
من غذاء وكساء ومأوى حتى يبلغ الطفل أشده وعلى هذا تم الاتفاق بين
الفريقين فسكنوا بجوارها وهي صاحبة السيادة على المكان الذى أصبح
وله قيمته وله أهميته لظهور الماء

صار الطفل العزيز إسماعيـل يشب بسرعة وينمو بتفوق وكانت
تبدو عليه مخايل النجابة وتظهر على محياه الوسيم شمائل العزيمة التى ورثها
عن بيته الشريف

وكان أبوه العظيم يتردد على زيارته وكان يؤدى الزيارة وهو راكب
لا ينزل عن الدابة وفاء لوعده الاول وهو الأبي الوفي بشهادة القرآن
الكريم (أم لم ينبأ بمـا فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى أن لا تزر
وازرة وزر أخرى)

ولما بلغ معه السعي قال له أبوه هيا بنا إلى الجبل نقرب قربانا الى الله

تعالى وأخذ معه حبلا ومدية فاطاعه الغلام ولكنه لم ير معه قربانا . فسأله . أين قربانك يا أبت ؟ . حيث لم يعرف بعد أنه هو المراد . فاجابه والده (يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك)

وبما أننا قد وصلنا إلى قصة الذبيح المفدى فيجب أن نفيها حقها من البحث والاستقصاء

قد اختلف المؤرخون فى أي الصبيين الذبيح . أهو إسحق أم اسماعيل ؟ فريق يقول إنه إسحق وهذا بعيد لا يتفق مع الواقع لان إسحق ولد بالشام وتربى بها والحادثة كانت بالحجاز بدليل أن كبش الفدا ذبح بالمنحر بمنى ويثبت هذا أن قرنى الكبش كانا معلقين بالكعبة المشرفة ومحلاة أطرافهما بالذهب وقد احترقا مع حريق الكعبة الذى حدث فى صدر الاسلام فى خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقاً

ويستدل الفريق الثانى على أن الذبيح هو اسماعيل من رواية بعض السادة الاصحاب أنه تقدم رجل من الاعراب إلى أعتاب الرسالة المعظمة وقد أراد الرجل أن يطرى السيد الامين باعز الانساب فقال له . خلفت البلاد يابسة . هلك المال وضاع العيال فعد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم عليه السلام ولم يبد اعتراضا على قول الرجل

وهذان الذبيحان اللذان عناهما الاعرابي . أحدهما سيدنا اسماعيل جده الاعلى والآخر أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم يجرنا سياق الحديث أن نذكر قصة ذبحه لما بها من طرافة وغرابة

وذلك ان الجرهميين ظلوا ولاة البيت المشرف بعد إسماعيل وهم يتبعون الملة السمحة ملة ابراهيم واسماعيل التي تحل لهم الطيبات وتحرم عليهم الخبائث إلى أن حادوا عن طريقها السوي فصار يعظهم سيدهم مضاض بن عمرو فلا تجدى الموعظة وأخذ ينهاهم ولا حياة لمن تنادى ولما عيل صبره ونفدت حيلته طم بئر زمزم وردمها بعد أن دفن بها الهدايا الذهبية التي كانت تهدى للكعبة الشريفة وظل القوم مسترسلين مع أهوائهم منهمكين فى شهواتهم إلى أن سلطت عليهم قبيلة خزاعة فأجلتهم عن البيت العتيق وملكته دونهم ثم جاء الشريف الكريم قصي ابن كلاب أحد الاجداد الكرام للنسب العالى الشريف فجمع قريشا حوله وامتلك البيت المحرم واحتفر بئرا عظيمة (غير زمزم) . وقد مكثت زمزم مطمومة مدى خمسمائة عام إلى أن جاءت الارهاصات لظهور النور البهي نور النبوة الزاهر

فى هذا الأوان رأى الشيخ الوقور السيد عبد المطلب بن هاشم جد النبي الاكرم رأى فيما يراه النائم أن هتف به هاتف فيقول . احفر زمزم . إنك ان حفرتها لن تندم . وهي ميراث من أبيك الاعظم . لا تنزف أبداً ولا تذم . تسقى الحجيج الاعظم . وهي بين الفرث والدم . عند نقرة الغراب الاعصم . ولما استيقظ سار نحو البيت المحرم وكان به صنمان من أصنام قريش يدعون أحدهما (اسافا والآخر نائلة) كان القرشيون يذبحون عندهما الذبائح فوجد السيد عبد المطلب بقرة مذبوحة ينقر فى فرثها ودمها غراب أعصم (والغراب الاعصم هو أحمر الرجل والمنقار

وأبيض البطن) . ولما عرف أن هذا هو المكان الذى عينه له الهاتف أحضر ولده الحارث . ومسك المعول وشرع يحفر . فلما رأته قريش أبى عليه اشرافها أن يحفر فى أرض البيت الذى هو عزهم وفخرهم فتمنى أن يكون له بهم قوة أو يأوى الى ركن شديد من أولاد يذودون عنه لانه لم يعقب بعد الا بولده الحارث هذا وهو ليس فى مقدوره أن يمنع عن أبيه بمفرده فنذر لله تعالى ان رزق بعشرة من الاولاد ليذبحن أحدهم قربانا

ولما رأته قريش أنه جاد فى عزمه لا يلويه عنه شيء خلوا بينه وبين رغبته لأنه فى الذروة العليا من مقام السيادة بينهم إذ هو شيخ الحرم والبيت وسيد قريش وكبيرها

ظل يحفر ولما بدا له الطي أي البناء كبر وقال هذا طي اسماعيل عليه السلام فعرفت قريش أنه أصاب حاجته فتعرضوا له وقالوا هذه بئر أبينا اسماعيل وان لنا فيها حقاً فاشركنا معك فأبى عليهم فطلبوا أن يختصموا واياه الى كاهنة بنى سعد بن هذيم وكانت بأعالى الشام فاجابهم الى مرادهم وتخيروا بعض السادات من بطون قريش ثم ساروا فى طريقهم الى الكاهنة وبينما هم بمفازة اذ نفد ماؤهم فتوقعوا التهلكة فاقترح أحدهم أن يحفر كل منهم حفرة لنفسه ويقع فيها وعند ما يموت يحثو التراب عليه رفقاؤه الى أن يموت آخر رجل فيبقى غير مدفون وذلك أخف ضررا أن يموت الركب كله بغير مواراة . ولكن السيد عبد المطلب رأى أن هذا يعد عجزا وعدم تبصر وأشار أن يضرب كل رجل فى الافاق يبحث عن الماء عسى ان يعثر أحد عليه فينجو الناس من هلاك الظمأ فاستصوبوا رأيه

وركب كل منهم ولما اعتلى السيد عبد المطلب متن راحلته وقامت نبع من تحت خفها عين ماء عذب فكبر وكبر رفاقه وشرب وشربوا ثم قالوا له تالله لقد آثرك الله علينا اننا لا نخاصمك فى زمزم أبدا لان الذى سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجعوا جميعاً واختص هو بالبئر دونهم وقد أخرج الذهب المطموم وحلى به الكعبة الشريفة

كأنى أصيخ بسمعي الى هسيس وهمس . كيف ينبع الماء من تحت خف الناقة مطية عبد المطلب ؟ ومن هذا الذى ينبع الماء له . اليس هو من الجاهلية الاولى ؟ على رسلكم أيها السادة . إن السيد عبد المطلب كان من خواص أهل الفترة وقد ترك عبادة الاصنام وانقطع الى التوحيد على ملة أبيه ابراهيم وحرم الخمر على نفسه وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وتؤثر عنه سنن جاء الكتاب والسنة باقرار الكثير منها كالوفاء بالنذر والمنع من تزويج المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان

وكان السيد عبد المطلب أيضا يلقب بالفياض لجوده واطعامه الطير ووحوش الفلاة يرسل اليها الطعام على رؤوس الجبال وهو ابن هاشم شريف قريش وعظيمها الذى هشم الثريد كعادة أبيه ابراهيم وأطعم فى القحط والمحل المسنتين البائسين وكان يسمى عمرو العلا لعلو مرتبته ورفيع مقامه . فهذا النسب يتسلسل من سلالة مباركة وشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء والجوهرة النفيسة فى عقد هذا النسب الشريف هو مقام

النبوة العالى المنيف

فلا غرو أن ينبع الماء بركة لعبد المطلب ولا سيما أنه كان وقت الارهاصات التى تظهر فيها خوارق العادات تأهبا لظهور نور الرسالة العظمى . هـذا وانه بعد أن شاهدنا مدهشات العلم الحديث فلا نخشى الآن لومة لائم فى ذكر هذه الخوارق . وما لنا نذهب بعيدا ولا نقول إن خف الناقة وهي قائمة اقتلع حجرا فانبجست من تحته هذه العين

لما رزق السيد عبد المطلب بعشرة من الاولاد وزاد عليهم اثنان أتاه فى منامه من يذكره بوفاء نذره فذبح كبشا وأطعمه الفقراء فقيل له فى المنام قرب ماهو أكبر من ذلك فذبح ثورا فقيل له أيضا قرب ما هو أكبر من ذلك فذبح جملا فقيل له كذلك قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما هو أكبر من ذلك ؟ فقيل له قرب أحد أولادك كما نذرت فجمع أولاده لينحر واحداً منهم فطاعوه جميعاً وكان أول من أطاعه أصغرهم الشريف عبد الله والدخير النبيين وكان شابا نبيلا جميلا يفيض حياء ونزاهة وعفة فاخذه بالمكان الذى تنحر عنده النحائر بين اساف ونائلة فالقاه على الارض والمدية فى يمينه عندذلك تصدى له عظماء قريش ومنعوه أن يذبح الغلام قائلين إنك إذا فعلت هذا يأخذها العرب عنك سنة وكل يقدم ولده ضحية فقال أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعا رأيا إلا بمشورتكم فاجتمعوا بدار الندوة (ودار الندوة هذه هي أول برلمان عمل قبل أن تخلق البرلمانات) وبعد البحث والمشورة قر رأيهم أن يتوجهوا تلقاء كاهنة معروفة اسمها قطبية من أهل خيبر حتى تنظر فى هذا الامر وترشدهم كيف يصنعون

وكان الكهان فى زمنهم يستقون المعلومات الغيبية من الجن الذين يسترقون السمع من السماء فلما سمعت الكاهنة مقالهم استمهلتهم الى الغد حتى تسأل تابعها من الجن ولما عادوا إليها سألتهم كم الدية عندكم ؟ قالوا عشرة أبعرة فقالت افدوا الغلام بها وقد تحللتم من نذركم ولكن خاطر السيد عبد المطلب لم يطمئن الى هذا الرأي وكانت عندهم استخارة يعملونها عند الآلهة وهي إنهم يضربون سهام القداح على الغرض الذى يبغونه ويجانبه ضده فاذا ضربت القداح وجاءت على الغرض يتبعونه واذا جاءت على عكسه يهملونه فلما رجع السيد عبد المطلب الى مكة المكرمة كلف السادن ان يضرب القداح فخرجت على الصبي فزاد الفدية عشرة أخر وضربها ثانياً فخرجت على الصبي أيضا فزادها عشرة وهكذا صار يزيد والقداح تخرج على الصبي الى ان بلغت المائة فخرجت على الابعرة فقدمها فدية عن الصبي بعد ان ارتاح ضميره وهكذا كانت نجاة الشريف عبد الله ليخرج من صلبه نور الهداية الرحمانية . ومن وقتها صارت الدية عند العرب مائة من الابل

نعود فنتحدث عن قصة الذبيح العظيم وهى قصة من احسن القصص لها قدرها ولها خطرها فى شئون الاجتماع

تضطرنا ملابسات القصة وظروفها واسبابها الى وضعها امامنا كرقعة الشطرنج لا ننقل احجارها الا بترو واناة وكذلك فلا نخطو بمناسبة من القصة او ننتقل بسبب منها إلا بحساب ودقة حتى لا تضيع الفائدة المرجوة من هذه السيرة المباركة

قد اوحي من السماء الى الخليل إبراهيم ان يذبح ولده وحيده نحيرة

قربانا وإبراهيم كما تعرف قطب من أقطاب التاريخ وإمام من خيرة الأئمة وعلم من أعلام الهدى . وعدا هذا فان الغلام الذى يقدمه قربة ليس بالغلام المنكور المنبوذ بل هو الاصل النبيل لهذه الدوحة العظيمة التى يستظل العالم بظلها الوارف

فهل يدور بخلدنا أن هذه الأمثال الحكيمة وهذه الحكم البالغة تنزل من السماء لمحض الخبر المجرد عن العبرة وعن الموعظة ؟ أو انها سيقت بقصد اللهو والسلوى ؟ أو لاجل أن تخرج من بين الشفاه مصمصة تنم عن شفقة وحنان نحو الغلام الذبيح أثناء حادثته ؟ أو اننا سرنا على سنن الاضحية لنتمتع بقضم اللحم وتنويع الطعام ؟

كلا والف مرة كلا . ان هذه الحادثة ما نزلت من السماء إلا لينتفع العالم بمغزاها ومرماها

أفلا ترون الى هذا الهيكل الانساني يدب بجرمه الصغير على الارض لا ينفك عن جاذبيتها ولكنه يسمو باحساسه وادراكه الى الملأ الاعلى فيتعرف اسرار الملكوت حتى يصير عمدة هذا الكون كله

أفلا تنظرون إلى هذا الفلك الدائر كيف نعلم من دورته عدد السنين والحساب ومن هذه الدورة أيضا نرفه عن أنفسنا سأم الحياة ومللها بان نخرج من قيظ الصيف الى نسمات الخريف ومن قرة الشتاء الى بسمات الربيع

ألا ترى هذا الكوكب الشمسي وهو يمدنا بالضياء وبالحرارة وهذه الحرارة هي سر الحياة كلها بها ينضج الزرع ويتبخر الماء الاجاج ثم يساقط علينا عذبا فراتا . والماء يخرج منه كل شيء حي

وهذه السيارات وهذه الكواكب وهذه الأسدام وجميع ما يقع عليه بصرك كل هذا مسخر لنفع الانسان الذى لم يخلق عبثا بل خلق ليكون خليفة الارض

وكذلك الحوادث الجسام مثل الحادثة التى نحن بصددها فانها ما نزلت من السماء إلا لتكون المثل الأعلى لجميل التضحية وانكار الذات أمام إرادة الحق سبحانه وتعالى (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون)

نستخلص مما ذكر ان التضحية واجبة فى سبيل الحق وقد يتصل بالحق أحوال لها الأخرى قيمتها فى الحياة وانها لجديرة بالتضحية

اننا نضحى بالانفس والنفائس فى سبيل اعلاء الوطن ونضحى بالمهج وبالدماء للذود عن حياض الشرف وعن طهارة العرض

نضحى بالمال والمال ظل زائل وعارية مستردة ولم يبق الا الاحاديث والذكر. نضحى به فى سبيل الاحسان الى الايامى واليتامى واعالة المرضى والزمنى وذوى العاهات

ننشى الملاجىء للبائسين ونشيد المصانع تلم شعث الغلمان أبناء الشوارع وبقايا الأزقة

نقيم معاهد العلم لتنوير الامة والحكمة تقول من فتح مدرسة فقد أغلق سجنا

قد يظن البعض أننا نقتبس هذه الدعوة الى الخير من تقاليد غيرنا ولكن الحقيقة أنها من تعاليمنا القويمة فمنذ نيف وثلاثة عشر قرنا أوحي من السماء إلى من بعث ليتمم مكارم الاخلاق أن (خذ من أموالهم

صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وهذه هي فريضة الزكاة احدى قواعد الاسلام الخمس . فرض على الموسرين أن يتصدقوا بالماية اثنين ونصف سنويا من خالص مالهم على المعوزين حتى تذهب الحفيظة والحقد من صدور هؤلاء على الاغنياء وتوضع المحبة والعطف بين الناس محل القانون

ومن التضحيات أيضا أن يضحى الانسان بوقته في سبيل ارشاد أمته والفاتها الى واجبها نحو وطنها وأن تعمل على اشادة بنيان الاخلاق مستقيما غير ذى عوج

يضحى الانسان بميوله ورغباته فى صيانة أعراض أمته وكرامتها وأن يحافظ على عفاف فتياتها الذى هو أعز شيء يراق على جوانبه الدماء وأن يلازم العفة والنزاهة ومن عف تعف نساؤه وكما يدين الفتى يدان

ويضحى الانسان أيضاً بميوله فى تجنب المسكرات وكفى بالخمر خسة ودناءة انها وصفت بام الكبائر وأم الخبائث . واذا قال قائل ان فيها منافع للناس فقد زال هذا النفع بتحريمها حيث لم يجعل الله شفاء هذه الامة فيما حرم عليها وقد حل محل النفع تلك الاضرار الكثيرة التى لو سردناها لضاق المقام ولكننا نكتفى بالاشارة الى اضرارها الصحية حيث هي تجلب الصداع والرعدة وتفسد الدماغ حتى يتسبب من ذلك خلل في جوهر العقل أما اضرارها الادبية والمادية فمعروفة لا تحتاج إلى زيادة ايضاح وبالجملة ان الخمرة ليس لها من فائدة سوى ضياع المال وحرمان العيال

يا رجال الامة . أنتم المسؤولون وحدكم عن درء هذا الخطر الاخلاقي لأنكم المعنيون بالقول الحكيم (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

إنى أوضحت بعض الشيء من معانى التضحية وبقيت أشياء لا يتسع المجال لذكرها . وأرانى قد أطلت الكلام فأرجىء تتمة الحديث عن الذبيح المفدى وما يتبعه من السيرة المباركة الى المقال التالى إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة التاسعة

الذبيح — البشرى

رمي الجمرات ـ البر بالوالدين ـ الذبيح تحت السكين ـ كبش الفدا ـ أضياف ابراهيم ـ بشرى الملائكة ـ قوم لوط ـ الملائكة فى بيت لوط ـ قوم لوط والأضياف ـ لوط يخرج من بينهم ـ خيانة امرأته ـ هلاكها مع القوم ـ خطاب للناشئة ـ الدين يأمر بالاقدام

الحمد لله الذى خلق الناس وجعلهم شعوبا وقبائل والصلاة والسلام على معدن المكرمات كريم الشمائل وعلى آله وصحبه أهل التقى والفضائل وبعد

لقد أخذ السيد الخليل الحبل والسكين وخرج بالغلام الجليل اسماعيل إلى الجبل فتمثل الشيطان فى صورة انسان وذهب إلى السيدة هاجر أم الغلام وقال لها ألا تدرين أين يذهب إبراهيم بالولد ؟ . قالت وإلى أين يذهب ؟ . قال إلى الجبل ليذبحه . قالت ولماذا يذبحه ولم يأت شيئا فريا ؟.

قال انه يقول ان قد أوحي اليه بذبحه . قالت ما دام الامر قد جاء من قبل السماء فيجب الرضوخ والتسليم . فما أحسن هذ الرضا بالقضا

فلما يئس اللعين منها تركها ولحق بالغلام مع والده الكريم وقال له ألا تدرى أيها الغلام أين يذهب بك أبوك ؟ انه يذهب ليذبحك . فعرفه سيدنا الخليل فتناول حصيات من الارض ورجمه بها فنكص على عقبيه ولكنه عاد بعد قليل فعاد وسواسه فرجمه الخليل ثانياً فولى مدبراً ثم رجع الثالثة فرجمه الخليل أيضا وهذا هو رمي الجمرات فى الحج

رب قائل يقول هذا إبراهيم الخليل قد نزغ الشيطان بينه وبين ولده فرجمه فلماذا يجعل هذا الرجم شعيرة من شعائر الحج يأتى به الناس جميعا ؟

إنك لتجد الجواب فى المعنى السامى المقصود من هذا الرمي وذلك انه لما كان الانسان مكونا من المادة فتمثيل المواعظ أمامه مجسمة تكون أبلغ أثرا فى نفسه كما تفعل بعض الامم مع روضة الاطفال مثلا حيث يقدمون لهم حروف الهجاء مصنوعة من أصابع الحلوى حتى ترتسم فى أذهانهم عند ما يلتهمونها فيسهل عليهم حفظها

مثل هذا الرجيم مجسما واشترع الرجم له حتى يعرف الانسان أن له عدوا بالمرصاد يتربص به الدوائر فيتقى شره ويتجنب أذاه ويتباعد عن همزاته فتصلح حاله ويهدأ باله

فاجأ سيدنا إبراهيم الغلام بالمفاجأة المدهشة وصارحه هذه الرغبة

(م . ه . حسام)

الرهيبة التى تدك الرواسى وتنتزع لها القلوب من الصدور إذ يقول (يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) ورؤيا الانبياء حق فقد رأى فى منامه أن قائلا يقول له إن الله يأمرك أن تذبح ولدك قربانا فتريث فى الامر وتروى حتى يتحقق أن هذا ليس من عمل الشيطان ولكنه رأى فى الليلة التى تليها مثل ذلك وكذلك فى الليلة الثالثة . ولهذا يسمون الليالى الثلاث التى تسبق الاضحى أيام التروية - فقام يصدع بالامر بعد إذ عرف أنه أمر الهي لا بد من نفاذه

شيخ هرم جالد الايام وعرك الدهر فاحنته السنون وهو يتطلع إلى الذرية وفى أخريات عمره يرزق بغلام وحيد ثم يؤمر بذبحه إن هذه لمحنة تنوء بحملها الرواسى الشامخات . ولكن العظائم كفؤها العظماء فعلى قدر منزلة إبراهيم وعلو مقامه وعلى مقدار ثبات يقينه وكمال إيمانه يكون الابتلاء والاختبار

وبعد أن أخبر الغلام خبر ما رأى أراد أن يستطلع مافى نفسه عسى أن يجد منه قبولا يخفف عنه وقع هذه الفاجعة فيتابع الخبر بقوله (فانظر ماذا ترى ؟) . عماذا أجاب الغلام ؟ (قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين)

ما شاء الله . سبحان من أنعم على هذا البيت الكريم بنعمة القبول والطاعة . اليس من هذا البيت ومن رحابه الواسع وفنائه الرحب خرج النور الذى عرفنا على ضوئه معنى البر بالوالدين كما ورد بالذكر الحكيم (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك

الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً) ؟

أنظر إلى بر إسماعيل وطوع اسماعيل . أنه يشعر بالرحمة والحنان من والده فيريد أن يخفف عنه هذه اللوعة لوعة الشكل فيقول

أوثق منى الرباط يا أبت حتى لا أضطرب وكبنى على وجهى حتى لا ترانى فتأخذك الشفقة فيزداد ألمك وحتى لا أرى السكين فينقطع نياط قلبي واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها شيء من دمى فينتقص أجرى وتراه أمى فيتضاعف حزنها واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين على عنقى فيكون أهون علي لان الموت أليم شديد وإذا أردت أن ترد قميصى إلى أمى فافعل فعسى أن يكون إسلاء لها وأقرئها منى السلام

وكذلك فعل سيدنا إبراهيم فانه شد وثاقه وطرحه أرضاً (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم)

يقول الذين عندهم علم الكتاب أن قد ضجت الاملاك وضرعت الى الرؤوف الرحيم رب ارحم هذا الوالد الشيخ وانقذ هذا الولد الطفل فتولاهما عز وجل باللطف والرحمة فسلب من السكين خاصية القطع فلم تؤثر فى عنق الغلام

ولقد نزل الامين جبريل عليه السلام بالفداء وقد اختلف الرواة فى نوعه والغالبية تقول إنه كبش أقرن أملح وقد اخبر بعضهم أن هذا الكبش هو الذى قربه هابيل قربانا فى حادثته مع أخيه قابيل فى عهد

الانسان الأول وقد تكلمنا عن هذه الحادثة فيما سبق . ويقولون أيضاً إنه قد احتفظ بهذا الكبش فى غامض علم الله تعالى حتى ينزل فداء عن الذبيح المفدى العظيم وهذه الرواية يتقبلها العقل لأن حيوانات الجنة لا يراها أهل الدنيا فى الدنيا . وكان عمر مولانا الخليل يومئذ يتجاوز المائة أما الغلام فلا يتجاوز الثالثة عشر

واننا نشكر الله تعالى على هذه النعمة الجزيلة حيث تفضل بنجاة جد العظماء أهل بيت الله تعالى وسدنة الحرم وحفظته ونحمده عز جاهه على هدايته إيانا بهذه الحكم البالغة وهذه المواعظ الرائعة

سبق أن ذكرنا أن مولانا الخليل كان مضيافا كريما لا يتناول طعامه بهناءة إلا مع ضيف حتى كان يرتاد الاميال لجلب الاضياف وقد مكث نيفا وخمسة عشر يوما ولم يؤم ساحته ضيف أو نزيل حتى خيمت سحابة من الكآبة فى سماء صفوه وبينما هو فى هذا الشغف للقاء الاضياف إذ دخل عليه رجال ثلاثة تبدو عليهم الوسامة والوجاهة فأكبرهم وهش لهم وأنزلهم خير منزل بعد أن (قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) . ما توانى أن قدم القرى مائدة عليها الشواء يقطر ودكه وتفوح رائحته فتفتح له اللهى وهو عجل سمين ناضج

وكان هؤلاء الاضياف هم جبريل وميكائيل وإسرافيل والملائكة ليسوا فى حاجة إلى الطعام لأنهم أرواح نورانية لطيفة (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة) استنكر أمرهم عندما رآهم امتنعوا عن الطعام وخافهم حيث جرت العادة أن الذى لا يأكل من زادهم يظن

به أنه يضمر الشر والوقيعة بهم فلما أحسوا منه الخوف (قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة) وراء الستر حيث هي الاخرى كريمة من بيت الكرم فكانت تباشر خدمة الاضياف بان تراقب الغلمان والخدم فى طهي الطعام ونضجه وتهيئة الموائد وغير ذلك (فضحكت) سرورا لزوال الرعب عن بعلها العظيم

يقول كرام المفسرين أن سيدنا جبريل أراد أن يزيد من سرور هذا البيت فضرب بجناحه على العجل فقام حيا يسعى باذن الله تعالى

وهنا لطيفة صدرت من أبى الانبياء حيث لما سألهم عن سبب امتناعهم عن الطعام أرادوا ان يتبسطوا معه فى الكلام فقالوا لا نأكل طعاما إلا بثمنه فأجابهم على البديهة أوليس معكم ثمنه ؟ قالوا وما ثمنه ؟ قال تقولون عند البدء به بسم الله وعند الانتهاء الحمد لله

ثم يقول القرآن الكريم (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هـذا لشيء عجيب) كانت السيدة الجليلة سارة قد جاوزت الحلقة التاسعة فهي تتعجب أن تلد وهي عاقر وبعد أن استنفدت هذه الحلقات التسع من عمرها الشريف وأيضا قد بلغ زوجها الكريم إلى سن الشيخوخة فكيف يجيء النسل من هرمين ؟ فيكون هذا العجب من وجهة العادة لا من جهة القدرة الالهية فلذلك (قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) لأن هـذا البيت هو بيت النبوة ومهبط الوحي فلا يستغرب أن يخرج منه خوارق العادات ولا عجائب المعجزات حيث

اختص بمزيد النعم والكرامات

وهكذا أراد الله تعالى أن يتم نعمته على آل ابراهيم فحملت السيدة سارة من ليلتها. ولنتركها مؤقتا وهي فرحة جذلة بحملها السعيد ثم نعرج على مدائن (سدوم) حيث نرى سيدنا لوط بن هاران الذى أسلم مع إبراهيم لله رب العالمين وقد رحل إلى هذه المدائن حيث بعثه الله تعالى نبيا يرشدهم إلى صالح العمل ولكنهم أعمتهم الضلالة وكانوا يعملون السيئات ويجهرون بالقبائح الجنسية الدنيئة ما سبقهم بها من أحد من العالمين وطفق ينهاهم ولكن ماذا يفيد الطرق فى الحديد البارد؟ وهذه وجوههم كالحت من الصفاقة فلا يتسنى للعطار أن يصلح ما أفسد الدهر

نعود إلى سيدنا الخليل حيث نراه قد سرى عنه الروع وداخله السرور لهذه البشرى ولكنه كان يتوجع لابن عمه لوط سيما والسيدة سارة لبعد نظرها كانت تقول له اضمم اليك لوطا لأن العذاب لا بد أن ينصب على قومه بعد ما أعياه أمرهم وتعسر عليه هداهم. والقرآن الحكيم يذكر ذلك (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب يا إبراهيم أعرض عن هذا! إنه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود)

كانت المهمة التى كلف بها هؤلاء الملائكة أن يدمروا هذه القرية الظالمة وقد فطن اللبيب إبراهيم لهذا فعرف أن مأموريتهم لا تنتهى عند حد البشارة وقد يكفى أن يبشره ملك واحد وبما أنهم جملة فلا بد أن يكون مجيئهم لغرض أكبر من هذا حتى أنه فى أثناء كلامه معهم وبعد أن

بشروه بالولد سألهم (قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين)

ذهب الملائكة حتى وصلوا إلى بيت سيدنا لوط ودخلوا عليه بهذه الهيئة الحسنة والجمال الرائع (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب) لان هؤلاء الاضياف الوجهاء نزلوا بكنفه ويخشى أن يدنسهم قومه وكانت امرأته على اتفاق مع القوم أن تراسلهم كلما نزل بدارهم أضياف وفى تلك الليلة بعثت إليهم جزأ من الملح فعرفوا السر (وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ضاقت على سيدنا لوط الارض بما رحبت إذ خشي على أضيافه فاغلق بابه دونهم فتسوروا الجدار ودخلوا عليه فأخذ يجادلهم (قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد). لأن كل نبي يعتبر أبا لأمته ونساء الأمة كأنهن بناته لهذا أوعز اليهم ان يتجنبوا هذه العادة الجنسية الخبيثة وينصرفوا إلى الامر الطبيعي وهو الزواج من نساء الامة الذى جعله الله تعالى حلالا طيبا لأخراج النسل (قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد) تشبثوا بفكرهم خصوصا عند ما رأوا الاضياف والنور يتلألأ من جباههم فأخذه من الكرب والبرحاء ما جعله يتلهف على نجاة أضيافه (قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد) ولما شاهد الملائكة ما هو فيه من الوجد عملوا على رد لهفته وتسكين لوعته حيث (قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) حيث أنهم لا يقدرون على ايصال الاذى للملائكة فيتأذى

هو لاجلهم فتركهم وشأنهم واخذ جبريل يضرب بجناحه فى وجوههم حتى طمس أعينهم فتولوا مدبرين مولولين يقولون النجاء النجاء ان فى بيت لوط سحرة . ثم صدر الامر اليه (فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد) حتى لا ينزعجوا لو التفتوا وراءهم وشاهدوا هول هذا العذاب المهين (الا امرأتك فانه مصيبها ما أصابهم) امرأة السوء هذه تعد غريبة الاطوار لانها تشذ عن التراحم الزوجي الذى ذكر بالذكر الحكيم (ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) انها خبيثة الطوية فاسدة الاخلاق وفساد اخلاقها قد طغى على هذه السكينة وهذه المودة حتى صارت تنافق ضد زوجها . ومن هو هذا الزوج ؟ هو نبي كريم من اسرة شريفة ومن المعصومين الالباء الفطنين واذا كنت اريد ان اطلق العنان للقلم ليسترسل فى التشنيع على هذه الشريرة فلا يستطيع ان يصل الى المراد ولكن يكفيني أن اذكر ما قيل عنها بكتابنا العزيز (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين)

(ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب) . قد علم الله سبحانه وتعالى أنه لا خير يرجى من هذه القرية وانها أصبحت عضوا فاسدا فى جسم الانسانية فلا ينجع فيه العلاج بل لا بد من بتره (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد)

يقول الراسخون فى العلم ان الامين جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم فانتزعها ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وهذا جزاء الظالمين

جل ثناء ربنا وتعالى انه من علينا أهل الارض بنور الرسالة العظمى وببركتها كنا خير أمة أخرجت للناس وببركتها ايضا منع عنا الخسف والمسخ وغير ذلك من الآفات السماوية التى كانت تنتاب الامم قبلنا افلا يجدر بنا أن نحيط هذه النعم بسياج من الشكر ؟ وليس يخاف على قومنا أن الشكر ينحصر فى تجنب هذه النقائص التى أتى بها الاجيال السالفة هذا واوجه خطابى الآن الى ناشئتنا فلذات اكبادنا ومهج قلوبنا .

انكم تظنون ان المتمسك بدينه جامد غير مرن فلا يمكن أن يضرب سهمه فى مرافق الحياة ولكنكم تنظرون فقط إلى هؤلاء الكسالى الذين يسكنون المسابح ويتسولون باسم الصلاح والتقوى ومثل هؤلاء يتبرؤ الدين منهم وما هم الا حثالة يجب طرحها عن كاهل الامة

فالدين لا يأمر بالقعود فى الزوايا أو التكايا وقد سبق ان أوضحت من هذا المنبر الأثيري فضيلة السعي إذ السعي كله خير وبركة

أيها الشاب الوطني . ان الدين ليفرح بك أن تنط على الحبل وتلعب على الشنكل وتلج ميدان المصارعة والملاكمة وتنزل حلبة السباق وحلقة البرجاس ومسابقة السباحة

ويفرح بك عند ما تصيب هدف الرمي وتبارز بالسيف وبالشيش وتطير فى الهواء وتغوص فى الماء وتقطع الفيافى وتدك الشامخات وتعمل عمل

الجن العتاة فهو لا يمنعك عن هذا مطلقا بل إنه يمنعك ان تعتدى على نوعك حتى يظل سليما ليؤدى المهمة التى خلق لاجلها وهي البحث والتنقيب عن الطبيعة وما وراءها حتى نصل إلى معرفة المبدع الجليل عز شأنه فنعبده ونوحده (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون)

وعدم الاعتداء على نزعنا يسمونه عرفا بالاخلاق فهل يرضيك أن يعتدى عليك معتد بالضرب أو السب؟

هل ترضى أن يغشك غاش أو يدلس عليك مدلس؟

هل تقبل ان ينتشل نشال نقودك من جيبك؟

هل تقبل أن يذمك أحد أو يغتابك مغتاب أو ينم بك نمام؟

هل ترضي أن يعاكس أحد أختك أو أمك فى الطريق؟

هل ترضى أن يعتدى أحد على عفاف احدى قريباتك؟

هل ترضى أن يؤذيك جارك والجار موصى على الجار؟

هل ترضى أن يتلذذ جارك بالوان الطعام وأشهى المآكل ويلهب أمعاءك الجوع؟

بالطبع إنك لا ترضى كل هذا فكيف ترضى للناس ما لا ترضاه لنفسك؟ فهذه هي أخلاق الدين الذى تتبرمون منه يا شباب الامة

استحلفكم يا شباب الامة بالوطن الذى تريدون ان تنهضوا به وامتكم التى تتحمسون لأنعاشها وبتراب أجدادكم الذى تجتهدون أن لا تدوسه العدا الا ما صحبتم نهضتكم بمكارم الاخلاق فهي السلم القوي

تتدرجون منه الى الرقي الذى تنشدونه

يا رجال الامة . الشباب يسير بنهضته على بركة الله تعالي ولكن لا بد له من بصيرة ترعاه وتحفظه وحكمة تسيره وترشده وحنكة تدبره وتلفته . فانتم الهداة المرشدون فلا تخلوا بين الشباب وبين نزقه بل اعملوا على ارشاده ليعتز الوطن ويسمو بمكارم الاخلاق

بقيت مسائل لا يتسع الوقت لتبيانها فارجؤها إلى المقال التالى ان شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة العاشرة

زواج إسماعيل

مدنية العرب ـ عاد وثمود ـ جذيمة والزباء ـ الحميريون وحضارتهم ـ جرهم بالحجاز ـ معجزات الانبياء ـ بلاغة القرآن ـ فارس يعلم الأخلاق ـ وفاء عبدالمطلب ـ وفاء حاجب بني تميم ـ اسماعيل صادق الوعد ـ معجزات اسماعيل ـ زواج اسماعيل ـ أزواجه فى نظر أبيه ـ رسالة اسماعيل ـ انقياد الخيل

الحمد والشكر لله المنعم بجلائل النعم والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ذوى الاحسان والكرم وبعد

لقد يدور فى خلد البعض إن العرب ما هم إلا هؤلاء البدو الذين يضربون أطنابهم فى الصحارى على فطرتهم وهمجيتهم الاولى . ولكن

الامر بخلاف ذلك حيث أن العرب أمة عريقة فى الحضارة منذ فجر التاريخ

فالعرب البائدة ويقال لهم العرب العاربة منها ملوك وممالك ذات نواميس وأنظمة يحفظها لهم التاريخ فى سجله العامر

ومنهم العمالقة قد أسسوا دولا كثيرة وامتد ملكهم الى الشام وفتحوا مصر وملكوها مدى خمسة قرون من عام ٢٢١٣ الى عام ١٧٠٣ قبل الميلاد

ومنهم عاد ويضرب بهم المثل فى القوة والمنعة وكانوا أطول الناس قامة وزادهم الله فى الخلق بسطة ومع هذا فانهم كانوا أهل شرك وضلال فصار ينهاهم سيدنا هود نبيهم وهم لا يستمعون اليه حتى جاءتهم سحابة ظنوا أنها ممطرتهم بعد أن كاد القحط يهلكهم ولكن خرج منها ريح عقيم أبادتهم جميعا ونجا هود ومن آمن معه وقليل ما هم

ومنهم ثمود الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ولا تزال آثارهم باقية الى الآن بالحجر بوادى القرى ولقد شاهدنا ابداع نحتهم وإتقان هندسة بيوتهم عند ما مررنا بالسكة الحديد الحجازية . يرحم الله أيامها . وقد أخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين وذلك عند ما عقروا الناقة التى طلبوها آية من نبيهم صالح عليه السلام

ودولة الانباط قامت بالشام فى الجنوب الشرقي من فلسطين وعاصمتها مدينة بطرا

ومملكة تدمر فى طرف البادية التى تفصل الشام عن العراق وتبعد عن الشام بنحو ١٥٠ ميلا نحو الشمال الشرقي وأشهر ملوكها (زينبيه)

وابنته (زنيوبيا) المشهورة عند العرب (بالزباء) ولها قصة طريفة ذهبت كل حوادثها أمثالا أرى أن أقدم أمثالها الحكيمة هدية لأمتى العزيزة وملخصها موجزا

انه كان فى زمن سيدنا عيسى عليه السلام ملك الحيرة اسمه جذيمة بن الابرش حارب ملك الجزيرة عمرو بن الظرب بن حسان العمليقي فتغلب عليه وقتله فتملكت بعده ابنته الزباء هذه وكانت جميلة ولم تتمكن من أخذ ثار أبيها لقوة خصمها فعمدت الى الخداع والحيلة فبعثت الى جذيمة تبثه لواعج غرامها به وإنه لا ينجيها من سقام الجوى إلا زواجها منه وتضم ملكها إلى ملكه وإنها تدعوه إلى طلب يدها كما هي العادة أن يطلب الرجال النساء ولما عرض الامر على بطانته وافق الكل على اجابة طلبها إلا الوزير الداهية قصير بن سعيد بن عمرو فانه نهاه عن الاتصال بها فلم يستمع اليه وسار اليها حتى اقترب من ديارها فاستشار وزراءه ثانيا فقال له قصير (كل عزم لا يؤيد بحزم آخره فساد) فقال جذيمة (الرأي مع الجماعة) فقال قصير (القدر سابق الحذر ولا يطاع لقصير رأي) .

ولما تمكنت الزباء من جذيمة أجلسته فى طست وفصدته فى شريانه حتى صفى دمه فمات . وكان قد أخلف على ملكه ابن اخته عمرو بن عدي حيث لم يكن عنده ولد . وبينما عمرو فى مجلس شرابه مع ندمانه وخلانه إذ جاءه خبر مقتل خاله فلم يكترث بالنبأ ولم يعبأ به بل قال كلمته المشهورة (اليوم خمر وغدا أمر) ولما تفرغ لثار خاله أخذ الوزير المخلص قصير على عاتقه أن يتولى هو الانتقام من الزباء فجدع أنفه وذهب اليها مستجيرا

من جور عمرو فقالت مثلها المشهور (لأمر ماجدع قصير أنفه) ثم انه بدهائه وحذقه أدخل عليها الحيلة وأخذ يتجر لها ويعود بربح جزيل كان يمده به عمرو وفى ثالث مرة أدخل الجمال تحمل الرجال فى غرائر سوداء فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا. أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفا باردا شديدا: أم الرجال جثما قعودا؟

ولما غلبت على أمرها ووجدت عمرا ورجاله يتملكون قصرها انتحرت بان تناولت سما زعافا كانت أعدته تحت فص خاتمها وقالت مثلها المعروف (بيدى لا بيد عمرو)

وقد قام للعرب دولة كبيرة باليمن أسسها يعرب بن قحطان وتشعب منها ممالك كثيرة ثم جاء من بعد يعرب حفيده سبأ الذى بنى سد مأرب المشهور باليمن أحد عجائب الدنيا والذى سميت مدينة سبأ باسمه وهذه المدينة هي التى كانت تملكها السيدة بلقيس صاحبة العرش المعروفة قصته مع سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام

ومن بعد سبأ جاء ابنه حمير الذى أسس دولة الحميريين الشهيرة ذات التاريخ المجيد التى اهتدى الباحثون الى اكتشاف آثارها وحل طلاسم نقوشها الامر الذى يدل على علو كعبهم فى الحضارة والرقي

ثم ان يعرب هذا ولى أخاه جرهما على الحجاز. وكان يسكنه طائفة من العماليق نسل عملاق بن سام بن نوح الذين وصفناهم من قبل إلى أن جاءت السيدة هاجر كما شرحنا ونبع لها الماء فجاورها الجرهميون والعمالقة ومعهم بقايا القحطانيين

وكان الطفل العزيز اسماعيل يترعرع ويشب فى نشأة صالحة وكذلك العود القويم الذى يتعهده غارسه فانه ينمو بتفوق واعتدال وما أدراك بالعناية الصمدانية وهي تحيطه وتكلؤه . كانت النجابة تبدو على شمائله والمجد يحاديه ليصل به الى منصة العزة والرياسة وكان فصيحا مقوالا طلق اللسان قوي الجنان يتكلم بلغة معد الذى نزل بها القرآن

من معجزات الانبياء أن يأتوا بأشياء خارقة للعادة لا قبل للبشر أن يأتوا بمثلها . فمثلا كان الناس فى زمن سيدنا موسى ينصرفون الى اتقان السحر فلما جاء موسى والقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون

وكذلك الطب قد تقدم فى زمن سيدنا عيسى تقدما كبيرا فكانت معجزاته أن يبرىء الاكمه والابرص ويحي الموتى باذن الله تعالى

كما أن العرب المستعربة ورثوا الفصاحة عن جدهم العظيم اسماعيل فكانوا بارعين فى بيانهم تاهين ببلاغتهم حتى صار الشعر سجية لكل عربي . وكانت تقام للفصاحة أسواق عامرة فى عكاظ ومجنة وذى المجاز يعرض الادباء والشعراء فيها بنات أفكارهم وعصارة قرائحهم ومن يحوز قصب السبق تدرج قصيده ضمن المعلقات فى البيت الحرام ولا يزال ماثلا أمامنا بيان سحبان وفصاحة قس بن ساعدة وشعر امريء القيس وطرفة بن العبد واضرابهم من فحول الادباء والشعراء . وعند مانزل القرآن الكريم وجم الكل أمام بلاغته العالية حيث عجز هؤلاء الفصحاء البلغاء أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فالقرآن هو المعجزة الخالدة أبد الدهر وسيظل محفوظا بعناية الله تعالى . وان كنا نرى هجرانا وجفوة من الذين

خلب الباهم بريق القشور من هذه المدنيه فهذا هو الزبد الذى يوشك أن يذهب جفاء وأما ما ينفع الناس بالهدى والرشاد فيمكث فى الارض ولما دخل العرب فى الاسلام هذبوا لغتهم ببلاغة القرآن حتى صارت تزهو فى ثوب قشيب من البهاء والجمال .

إن العرب فى جاهليتهم كانوا يتيهون فى بيداء مترامية من العماية وسوء التربية ولكن المؤرخ المنصف يذكر لهم الشيء الكثير من السجايا المستحسنة واليكم كلمة أخلاقية عن العرب انقلها عن كتاب المملكة الروحية للعالم الاسلامي تحت عنوان (فارس يعلم الاخلاق)

لقد وجدت بين الجاهلية الاولى فارساً يعلم الناس الاخلاق وهو عنترة العبسي من أصحاب المعلقات إذ يقول من شعر له

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى

حتى يوارى جارتى مأواها

فما قولكم معشر المتمدينين وأنتم تريدون أن تخترق أبصاركم حجب الخدور لتنظروا ما وراءها فان انتسبتم إلى العرب فهذه أخلاق العرب وإن رجعتم الى الدين فرحمة العالمين قد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وإذا نظرتم إلى العمران فانحطاط الاخلاق يقوض بنيانه فتمسكى أيتها الامة الناهضة بالاخلاق فان الامم لا تحي حياة طيبة هادئة إلا بالاخلاق

ومن سجايا العرب المروءة والوفاء من ذلك أن ركبا أغار على أطراف مكة المكرمة فاسر رجلا اسمه حذافة بن غانم رهينة عن رجل مفقود منهم وكان السيد عبد المطلب بن هاشم شيخ البيت الحرام يسير فى هذا

الطريق إلى أن التقى بالركب فلما رآه حذافة استجار به فأجاره ولكنه لم يكن معه ما يفتديه به فقال لهم أبو لهب بن عبد المطلب وكان يرافق أباه قد عرفتم مركزى من السعة والمال وانني أريد أن أفتدي الرجل بعشرين أوقية من الذهب وعشرة من الابل وفرساً أصيلة اسلم جميع ذلك لدى عودتى لبيتى وهذا ردائى رهن بذلك فقبلوه منه وأطلقوا سراحه ثم وفاهم أبو لهب ما وعد .

ومن حسن الوفاء أيضا ما وقع لحاجب بن زرارة سيد بنى تميم فانه لما أجدبت أرضهم ذهب الى كسرى أنو شروان ملك الفرس ليأخذ منه إذنا بنزول قومه بريف العراق للرعي . فقال له إننى أخاف على الرعايا منكم . فقال أنا الضامن لقومى . فقال ومن لى بوفائك : قال هذه قوسى رهينة عندك . فحمقه كسرى وسخر منه وضحك عليه هو وجلساؤه ولكن بعض العارفين من الحاضرين أوضح له من وفاء العرب ما أقنعه بقبول طلبه ولما أخصبت ارض بنى تميم عادوا اليها وكانوا قد اعتنقوا الاسلام لدى ظهوره ومات سيدهم حاجب بن زرارة فتولى ولده الصحابي الجليل سيدنا عطارد الامارة بعد أبيه ثم توجه إلى كسري وتسلم القوس المرهونة . وكانت مفخرة تميم ومضرب الامثال وللعرب أيضا أخلاق فاضلة منها الكرم فانه لا يباريهم فيه أحد وقد دون المؤرخون أحوال كرمهم فى بطون أسفارهم ومنها الشجاعة والشهامة فحدث ولا حرج عن شجاعة العرب وشهامتهم فانهم لا ينزلون على ضيم ولا يستخذون

ولا يستذلون ويتعشقون الحرية التي هي حق طبيعي لكل الامم ويكفي الدلالة على هذا كلمة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب قالها لابن عمرو ابن العاص أمير مصر لما ضرب المصري وقال أنا ابن الاكرمين فقال له سيدنا عمر بم استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً

وبالجملة إن العرب قد ورثوا هذه المكارم من جدهم العظيم إسماعيل حيث كان نبراساً يستضىء به الداجون فى الظلمات ولا غرو فانه ورث النبل والفضل من بيته الطاهر

كان صادقا يحافظ على وعده ويؤثر عنه أنه تواعد مع رجل على اللقاء بمكان وزمان معينين وقد ذهب حسب الوعد ومكث ينتظر الرجل زمنا طويلا وأخيراً مر الرجل صدفة من هذا المكان فلما رأى السيد تذكر الوعد وكان قد نسيه فاعتذر اليه والكريم شيمته الصفح فلهذا نص الكتاب الكريم (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا)

كانت تظهر على يده خوارق العادات من المعجزات التى يؤيد الله تعالى بها أنبياءه لتدل على اتصالهم بجنابه العالى حتى يصدق الناس رسالاتهم. من ذلك ان أهل البادية طلبوا منه معجزة وكان جالسا عند أصل شوكه فدعى الله تعالى فاثمر الشوك . ثم سألوه أن يحلب لبنا من ضرع يابس فوضع يده المباركه على ظهر شاة عجفاء فدرت لبنا خالصا سائغا للشاربين

وقد نظر الجرهميون الى السيد إسماعيل بعين الاكبار والاحترام فكانوا يحتكمون اليه فى مشاكلهم ويرجعون إلى رأيه فى مهام أمورهم

حتى سودوه عليهم وقد تزوج من احدى بناتهم وكان من عادة أبيه الكريم أن يتردد على زيارته فعند ما زاره بعد زواجه هذا لم يجده بالمنزل فسأل امرأته عنه فقالت انه خرج إلى الصيد فسألها عن حالها فاجابت إنها بشر حال وشكت من الشكوى من زوجها فقال لها عند ما يعود زوجك أخبريه عن لسانى أن يغير عتبة بابه ثم عاد أدراجه

وعند ما عاد سيدنا إسماعيل حدثه قلبه . وقلب المؤمن دليله . ان أباه شرف المكان وقد تأكد لديه هذا إذ وجد المنازل استنارت وشم رائحة زكية ورأى الغنم تضع أنوفها فى الارض تطيل الشم فى الرائحة العابقة التى خلفها خليل الرحمن . فسأل امرأته . ألم يحضر أحد ؟ قالت جاء شخص وسأل عنك وراح لحاله . فسألها . ألم يقل لك شيئا ؟ قالت انه يقول متى عاد زوجك أخبريه أن يغير عتبة بابه

فادرك بفطنته القصد من هذه العبارة فقال هذا أبى وقد أمرنى أن أسرحك واقطع علاقتى بك . وفعلا فأنه فارقها ليقترن بغيرها

وهذا الخلق من هذه المرأة يجعلنا نبحث فى هذه النفسية التى تنصرف عن الخير وتميل كل الميل إلى الشر كوعاء السوء لا ينضح إلا بما فيه

عرف سيدنا ابراهيم أن ارتباط الزوجية يجب أن يزداد توثقا ويجب أيضا الابتعاد عما يفككه . وامرأة بخيلة مثل هذه كليلة الذهن لا تعرف أقدار الناس وتهجو زوجها وهو برىء وتشكو حالها والشكوى لغير الله مذلة . مثل هذه المرأة لا تستطيع أن تهيىء أسرة نبيلة تتناسل منها سلالة

طيبة تسير مع طبيعة النشوء والارتقاء . لهذا أوعز السيد ابراهيم إلى ولده أن يغير عتبة بابه

وحقيق به أن يغيرها لأنها خبيثة كالغراب لا يمر الا على أنتن الجيف فهي لسوء سريرتها وخبث طويتها تنظر دائما إلى ما حولها بمناظر قاتمة وتعد كل شيء في نظرها قبيحا حتى تهجو سيدا عظيما من بيت مجد عريق

تزوج بعدها سيدنا إسماعيل من شريفة قومها رعلة ابنة مضاض بن جرهم ولما جاء الزائر الكريم كعادته وجد ابنه الجليل بعيدا عن منزله فلما رأته الجرهمية أكبرته حيث رأت الجلال يحف به والمهابة تحاديه والوقار تزينه وكان أشيب ولم يكن للناس عهد بالمشيب حيث كنت ترى القوم فلم تعرف الاب من الابن اذ الجميع بنواصي ولحى سوداء فتمنى هو أن يتميز بابوته الكريمة فوخط الشيب لحيته وبعض رأسه ولما سأل عن هذا المشيب أجيب أنه وقار فقال اللهم زدني وقارا فزاده الله عزة ورفعة فوق الوقار

هال الجرهمية ما رأته من الحياء الغض حتى كان من شدة استحيائه قد اتخذ السراويل حذرا من ظهور شيء من بدنه الشريف ولم تكن السراويل قد استعملت بعد . فرحبت به وأهلت ودعته إلى الضيافة فأبى أن ينزل عن ظهر الدابة كعادته اجتنابا لخلف الوعد وهو الوفي الامين . فجاءت بحجر وضعته تحت قدمه الايمن فاتكأ عليه حتى مال بشقه اليها فغسلت رأسه ورجلت شعره ثم نقلت الحجر إلى اليسار فمال بشقه الآخر فأتمت غسل رأسه فقال لها احتفظي بهذا الحجر فسيكون له شأن يذكر .

ويقول الرواة إنه الحجر الذى علم فيه قدمه الشريف ومكانه بالمقام بالبيت المطهر . ثم جاءت بالطعام ووضعته فوق رأسها حتى يتمكن من الاكل فأكل هنيئا وشرب مريئا وقد أحسن الله تعالى جزاءها لعنايتها بخليله حيث تناسل منها الذرية العدنانية الكريمة سلسلة النسب العالى الشريف نسب سيد الأولين والآخرين

ولما سألها عن حالهم شكرت الله تعالى وأثنت عليه ثم أعقبته بالثناء على زوجها الكريم فدعى لهم بخير وان يبارك لهم فى اللحم والماء ثم تركها ومضى لسبيله بعد أن قال لها عندما يجىء زوجك أقرئيه منى السلام وقولى له يثبت عتبة بابه

ولما عاد سيدنا اسماعيل ووجد ريح أبيه سألها عن القادم فوصفته له ثم أخبرته بخبر ما قال فقال هذا أبى وقد أمرنى أن أمسك عليك زوجة ميمونة

أصحاب البصائر النيرة يكيفون المرئيات احكم من المبصرين القاصرى النظر . فانظر إلى هذه السيدة الشريفة وبعد نظرها وسداد رأيها . انها احترمت الشيخ الوقور بعد أن أدركت بفطنتها انه حموها وهو يعتبر كأبيها مقاما واحتراما وأدركت ايضا ان اهل زوجها أهلها فلو وجهت عنايتها نحوهم كأنها تعتنى بقرينها شريك حياتها

أما هذه البغضاء الوراثية بين الحماة والكنة أو بين أهل الزوج والزوجة فانه لم يؤجج ضرامها إلا سوء التربية الاخلاقية وما دامت الاخلاق قويمة فلا بد أن يستقيم معها كل أمر

وقد أرسل سيدنا اسماعيل إلى العمالقة والجرهميين يدعوهم الى صراط العزيز الحميد . وكان هو أول من روض الخيل وركبها حيث كانت وحوشا سائمة لا تركب فاعتنى بتربيتها وأخذ عنه بنوه هذه العناية فكانت الاصايل الجياد من الخيول العربية ولا تزال هذه الخيول حافظة لأصلها الاصيل الى الآن

وهو أيضا أول من صنع القسي وبرى السهام وكان راميا حاذقا يصيب الهدف بمهارة لا يباريه فيها أحد والحذق فى الرماية والبراعة فيها والفروسية على ظهور الصافنات الجياد هي من تعاليمنا القويمة حيث كان الهمام المقدام صاحب الشريعة السمحة يحث عليها ويعمل المباريات لاجلها ويشهد بنفسه حلقة السباق ويسابق بذاته الكريمة ويحض على هذا السبق . وكان عليه السلام لعنايته بالخيل يمسح وجه الفرس بردائه الشريف لان الخيل عز وبطونها كنز والخير فى نواصى الخيل

ولقد مر صلوات الله وسلامه عليه على فتية من الانصار يتراشقون بالنبال فوقف معهم يحثهم على الرمي ويعرفهم أن أبا العرب كان راميا حاذقا

أليست هذه هي الرياضة البدنية التى نظن أنها من مبتكرات هذا الزمن ؟

نقف الآن الى هذا الحد من القول وسنتابع الكلام عن السيرة المباركة فى المقال التالى انشاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الحادية عشر

مولد إسحق

الدين يحث على العلم — ويحث على الصناعة — ويبيح المجالس البريئة — نظافة الوضوء — الحث على الصلاة — كل شيء يسبح الله تعالى — مولد إسحق — ختان إسحق وإسماعيل — حاجات المدنية — الأخلاق وعطل العمال — حادث وفاة السيدة هاجر

الحمد لله مفيض الحسنات والبركات والصلاة والسلام على رسوله صاحب الكرامات والمعجزات وعلى آله وصحبه أهل الباقيات الصالحات وبعد

لقد خرجت من المقال السابق وفي نفسي كلمة أبادر فأتحدث عنها قبل أن نستغرق هذا النور المترامي المدى الذي نستقصي على ضوئه جميع نواحي هذه السيرة المحمودة

قلت إن هذه الملة الحنيفية لا تقف حجر عثرة في طريق من يمشي في مناكب الارض يبتغي الكسب المباح وما هي بالجامدة فتقف بأهلها في مفترق الطرق حتى يدوسهم الاغيار ويكونوا وراء الناس بل ان تعاليمها العالية تقول لك اطلب العلم ولو بالصين وتفرض التعلم على كل من الجنسين وتحضك أن تضرب بأكبر سهم في كل علم وأن تبرع في كل فن وتتفوق على كل قرن وتتفهم ألسنة الامم لتنقل الهام النافع إلى لغتك السامية

ان هذا الدين القيم يحثك على مزاولة الصنائع وليس هذا فقط بل يطلب منك أيضا اتقانها كما جاء عنه (يحب الله المتقن عمله)

ثم هو يحضك أيضا على انشاء الاساطيل واعتلاء متن اليم على بوارجك (ملكك واختراعك) حتى تمتلك نواصي البحار ومفاتح المضايق وتحتفظ بميراث أجدادك وتالد مجدك إذ يقول (من هاضه البحر فمات فهو شهيد)

فهل بعد هذا التحضيض والحث تتهم هذه اللدونة والمرونة بالجمود والتصلب؟ انه لا ينكر ضوء الشمس الا الأرمد الكفيف

أقول لفتانا الناشيء إن الدين قلبه عليك ويحب لك الخير فهو لا يمنعك أن تسمر مع أترابك تتبادل الملح والطرائف وتستمع الى الحكايات الظريفة والفوازير اللطيفة وغير ذلك من المسليات وفقط يرجو منك أن تستبدل المشروب الكاوى للقلب المذيب للكبد المتعب للذهن المضيع للمال. تستبدل هذا الخبيث بالطيب من المرطبات اللطيفة والمثلجات اللذيذة التي تنعش الجسم وتجلب الصحة والعافية. ويرجو منك أيضا أن يكون مجلسك بريئا بعيدا عن الاضرار والغيبة والائتمار

ثم هو لا يمنعك أن تغشى الاماكن التى تكون لك فيها سلوة ورياضة حتى لا يعتريك الكلال والملل لاننا نريد أن يكون شباب الامة ذا جسم صحيح وفكر ناضج إذ الحكمة تقول (العقل السليم فى الجسم السليم) وفقط يرجو منك أن لا تدنس قدسية الانساب حتى ولو بالقول أو بالاشارة

ثم وما يدريك أن هناك نوعا من النظافة أليق مما تلقيته انت أذ ربما مكثت أمام حوض المياه مدة طويلة لم تأت فيها بالفائدة المرجوة

لهذا أنصح الى المغني عندما يتوجه الى سهرته والممثل الى حفلته

والسينمائي إلى شاشته والمذيع إلى اذاعته والمتفرج الى فرجته والمتنزه إلى نزهته . أنصح الى هؤلاء ومن على شاكلتهم أن يعتنوا بالنظافة جيداً حتى يكونوا بهجة النظر ومثار الاعجاب فيشمرون عن أذرعتهم ويغسلون أكفهم ثم وجوههم وأذرعتهم الى المرافق ثم يمسحون على رءوسهم ثم يغسلون أرجلهم إلى الكعبين مع تخليل الاصابع

وهذا لعمري أجدى وأنفع لانه يعم جميع الاطارف المعرضة لتعلق الجراثيم الفتاكة وما إخالكم الامر تاحين لهذا الغسل السهل الهين

هل تعرفون ما هـذا الاغتسال ؟ هو الوضوء الذى تتوهمون أنه صعب وعسير

ورب أحـدكم يقول إننى لا أعرف ماذا أقول فى الوضوء . إنه لم يفرض عليك كلام قط سوى أن تقول عند غسل الوجه (نويت فرائض الوضوء)

وما دمت أن نظفت نفسك فبالمرة تصلى العشاء وهي أربع ركعات ليس فيها سر غامض أو أى تعقيد بل تقرأ الفاتحـة وأنت واقف ثم تركع ثم تعتـدل ثم تسجد ثم تجلس ثم تسجد سجدة أخرى وهذه ركعـة . ثم تقف للركعة الثانية تتمها كالاولى ثم تجلس للتشهد وهو سهـل الحفظ من التحيات الى الصـلاة على النبي وآله . ثم تقف لتأتى بركعتين اخرتين ومتى أتممتها أربعا تسلم بعد التشهد الاخير ولا يفرض عليك شيء من القول غير ما سبق إلا أن تأتى بتكبيرة الاحرام بعد نية الصلاة ولفظها (الله أكبر) . وهذه هي كل الصلاة التى ظننتم أنها رهيبة

وهائلة . وما هي إلا رياضة بدنية لطيفة . وللصلاة سنن وهيئات ستأتى بها أنت متى مرنت نفسك عليها حتى تتعودها

وكما ان الدين يمنعك عن الاضرار بالغير كذلك يحذرك من انهاك بدنك الذى له عليك الحق فى راحته وهدوه فيجب ان تأخذ قسطك من المنام كاملا وتتجنب السهر الطويل المضنى

وعند الصباح اذا نزلت تحت المرشاش (الدوش) يدخل الوضوء فى الاستحمام ثم تصلى ركعتى الصبح وتخرج إلى ديوانك أو الى متجرك أو الى عيادتك أو إلى مكتبك أو إلى مصنعك . تخرج الى عملك وأنت مرتاح الضمير بأن أديت واجبك نحو نفسك ونحو أهلك ونحو خالقك فتظل بياض نهارك مأنوسا منشرحا وعند الظهر تصلى أربع ركعات وعند العصر كذلك وتصلي المغرب ثلاثا

ولا يطلب منك الانقطاع للتسبيح بل هناك عباد تجردوا عن المادة وتقربوا الى الله تعالى بروحانيتهم يعبدونه حق العبادة وهؤلاء هم الذين يرحم الله تعالى بهم الارض ومن عليها كما قيل (لولا شيوخ ركع وأطفال رضع وبهائم رتع لهلكت الارض) هؤلاء العباد تحسبهم أغنياء من التعفف لا يسألون الناس الحافا

انظر إلى سماحة هذا الدين وسهولته حيث جعلت لك الارض مسجدا وطهورا تصلى حيث كنت ولا ضرورة أن تذهب الى المسجد الا فى صلاة الجمعة المفروضة

يقول الشاب إن ثوبى تلوث بالنجاسة فهو لهذا لا يصلي فقل له

اعمل على ازالتها بقدر ما تستطيع مع العلم بأن النجاسة هي نفس القاذورة المملوءة بالميكروبات والتى تحتم المدنية عليك أن تزيلها والدين هو نفسه للمدنية الصحيحة

ويعود فيقول لك أن لبس البنطلون يرغمنى أن أبول واقفاً فيطير الرشاش على أرجله فقل له اترك الوسوسة وصل فمثل هذه الاحوال الطفيفة يعفو عنها الشرع المصون

ربما تقول إن الدين يأمرك بالتقشف والزهادة فهو لا يأمر بهذا إلا المتبتلين المنيبين أما أنت فيقول لك (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)

وأنت يا ريحانة البيت ويا زهرة الحياة يا زينة المنزل الا تقومين لله تعالى بالشكر لنعمة الاسلام الذى أيد حقوق المرأة وكمل حريتها وراحتها فى حدود وظيفتها التى هى شطر الحياة ؟

ألا تشكرينه لنعمته على الجنس اللطيف الوديع بأن جعله السراج الوهاج الذى يضىء المستقبل أمام السلالات فتتكشف لها سبل الحياة قويمة سليمة ؟

ما أحسن التعاليم السمحة وهي تثيبك على تزينك لبعلك وتؤجرك لتجملك امامه. تتزينين بكل أنواع الزينة فى حدود الطاقة وتتجملين باحسن الثياب بغير ارهاق لمالية الاسرة

تعاليمنا تشير اليك أن تكونى جذابة فاتنة ضاحكة مستبشرة حتى يأنس بك الزوج ويرتاح للقائك ويعتبر بيته جنة الفردوس فيأوى

اليه ومن هذه الناحية يجىء عمار البيوت وأنت عماد هذا العمار

ما يكون لى أن ألفتك الى واجب النظافة وأنت ركنها الركين بل الذى أريد أن أنبهك اليه انك عند الاستحمام أو التنظيف تسبغين الوضوء وقد عرفت من سياق الحديث كيف هو سهل وهين

وما أحلا ما تناجين مولاك فى الصلاة وأطفالك يدبون حولك فيشبون على الاتصال بمولاهم البر الرحيم الذى نجأر اليه ضارعين بتحسين الاحوال

يارجال الامة . ما هذه المادة إلا أعراض زائلة أما الارواح فلها بقاؤها والاتصال بخالقها وبارئها فهي دائما مطبوعة على هذا الاتصال وأنتم تباعدون بها بقعودكم عن تقديم فروض الولاء والطاعة . وكفى بكم وقد غاب عنكم انكم أنتم الموجه اليكم الخطاب العالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)

يا رجال الامة . ربما تنصلتم من التبعة الملقاة عليكم فتلصقونها بالمدارس لاهمالها تعليم الدين للناشئه وهذا لايخليكم من المسؤولية لانكم قادة الاسر وكل قائد مسؤول عن قيادته

ياأمتى العزيزة . هذه الجمادات وهذه النباتات وهذه العجماوات وكل مايقع عليه البصر يؤدى الصلاة للمعبود الاعظم جل ثناؤه وتعالت كبرياؤه بدليل قوله تعالى (وإن من شيء الايسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم) . فاولى بنا ونحن نتنعم بنعمة الادراك والحس ان نقوم بهذا الواجب المقدس واجب العبودية مخلصين منيبين

يا أمتي العزيزة . انى أقسم غير حانث اننا ان لم نرجع الى الله تعالى في كل أمورنا فلا نصل الى ما نبتغيه من العزة والسؤدد (ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

أراني قد اطلت النصح واخاف عليكم الضجر ولكن ماذا اصنع وقلبي لا يطاوعني الا اذا رأيت امتي سعيدة موفقة ترفل في حلل مكارم الاخلاق

نمر الآن على قرية (حبرون) فى فلسطين ونقف أمام المهد الوثير مهد النجم المتألق فى سماء البيت الخليلي الشريف ونمتع الابصار برؤية اسحق الوليد (واسحق بالعبرية وتعريبه الضحاك) حيث تراه يشع النور بين بسماته وتبدوا البركة بين سكناته وحركاته

وترى اباه الكريم والامل يفسح له مجال الحياة الباسمة لهذا تسمع منه شكر مولاه (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء)

وترى امه المصون والهناءة تجعلها ناعمة فى نفاسها جذلة بعاقبة الصبر الجميل

أنها جاءت بوليدها المبارك وهي تناهز التسعين من حياتها المشرفة وهم كانوا فى زمنهم اطول اعماراً من اجيالنا الحاضرة وربما كان السبب هو بساطة العيش وعدم التكلف فى الحياة

ارجع البصر الى هؤلاء المتعمقين فى المدنية . ألست تراهم متغلغلين

ايضا فى كدح الحياة وهمومها ؟ وهذه نظرية لا تحتـاح الى عناء بحث او عميق استقصاء بل الظاهرة المنطقية انه كلما تعمق الانسان فى المدنيـة كلما كثرت حاجاته وكلما كثرت حاجاته كلما كثرت همومه الا ترى الى هذا البدوي الصحراوي وهو قانع من دهره بجرد (حرام) يجعله غطاءه ووطاءه ويكفيه فى عامه قميص وسروال وأمرأته كذلك ويرضى بقليل من الخبز يتبلغ به لحياته . وهذا هو بعينه التبسط فى الحياةوعدم الكلفة وقلة المشقة كما يقول الانسان الكامل (حسب المرء لقيمات يقمن بها صلبه) أو بعبارة حكيمة أخرى (يجب أن يأكل الانسان ليعيش لا يعيش ليأكل)

وليس معنى هذا انى اريد أن نتخلف عن الاخذ باسباب الرقي بل انا بطبيعة تكويننا ننشد هذا والرقي نسعى اليه حتى اذا صعدنا الى القمة لابد أن ننحدر الى السفح الذى درجنا منه وقد توجد اسباب كثيرة لهذا الهبوط المحتوم سبق أن كتبت عنها وكتب عنها غيرى باحثين فى هذه الاسباب وا كثرها مادية عمرانية

اما واننى اتوخى الادبيات فى سياقنا هذا فأنى أنقل اليكم ما كتب فى هذا الموضوع من الناحية الاخلاقية الاجتماعية فى كتاب المملكة الروحية للعالم الاسلامي تحت عنوان (العمال العاطلون)

من العجب العجاب أن تكون أوربا هي القابضة على صولجان المال فى العالم ثم نسمع بأن عندها شيأ آخرا ـمه (ازمة العمال العاطلين) وقد نشأت هـذه الازمة من جملة اسباب وأ كثرها أهمية هو وجود كارثة

اخلاقية فى اوربا نجم عنها هذا العطل للعمال وذلك أنهم يشغلون البنات فى المناصب ويتركون البنين عاطلين فالتاجر يريد أن يغرى زبائنه على التردد الى متجره باستخدام الجميلات من الفتيات وهذا ضعف اخلاقي تنفر منه الطباع السليمة وتأباه النفوس الكريمة وكذلك المصارف تستخدم الفتيات والمصالح الحكومية تعين الآنسات أيضا

تالله انهم لو كبحوا جماح انفسهم ومنعوها ان تسترسل مع شهواتها واستخدموا الرجال وحتموا عليهم الزواج من هؤلاء الفتيات لما وجدت عاطلا يتلكأ فى الطرقات

انك لتعجب ان بعض الشبان عندنا يغرهم برق هذه المدنية الخلاب فيقترحون استخدام الفتيات فى الوظائف حتى يتساوين بالشبان . وانى اسائل هؤلاء المقلدين هل الحقتم كل الشبان بالوظائف حتى احتجتم الى استخدام الفتيات ؟

صحيح اننا نحتاج الى معلمات لتعليم البنات حتى لا يختلطن بالمعلمين الرجال ونحتاج الى طبيبات لعلاج السيدات . ونحتاج الى ممرضات لتمريض المريضات . واخيرا نحتاج الى تعليم البنت لان تدير حركة البيت وتدير شؤون العائلة وهذا ماخلقت له

نعود إلى الوليد السعيد سيدنا إسحق حيث نراه قد جعل البيت جنة الخلد يسكن اليه أهله فى هناء وغبطة لأنه زينة المكان بل زينة الحياة الدنيا

وقد ختنه أبوه الكريم لسبعة أيام خلت من مولده الشريف لهذا

أخذت منه بعض الطوائف عادة هذا الختان

أما السيد الصادق إسماعيل فانه اختتن فى أوائل الحلقة الثانية من عمره الشريف

تربى السيد إسحق فى أحضان الكرامة وترعرع فى كنف الفضيلة فنشأ نشأة صالحة وتدلل فى عز أبيه وثرائه حيث كان من كبار المموِلين فى زمنه وكان أكثر ماله البقر كما يقول المؤرخون

ولنتركه مؤقتا يرتع ويلعب فى عهد الطفولة لنعود فنتكلم عنه رجلا كاملا فاضلا . أما الآن فنذهب الى الحجاز لنتكلم عن هذا الحادث الجلل هذا الحادث الذى كان له جلاله ومقامه فهو وإن كان قد حدث فى سكون وهدوء إلا أن المؤرخ قد يجد فيه مجالا للتعبير عما كان له من أهمية واهتمام حيث كانت ملابساته كلها خير وبركة للمستقبل ونتائجه ازدهاء وابتهاج للانسانية جمعاء

قامت السيدة هاجر بقسطها من الخدمة العامة للمجتمع الانساني خير قيام حيث كفلت ولدها العظيم وأخذت تهيؤه لان يمثل دوره على مسرح الحياه وكان من الادوار التى لا يجيدها إلا كل مفكر حكيم

ولما أتمت رسالتها انتقلت إلى العالم الآخر راضية مرضية فواراها نجلها السعيد فى الحجر من مكان البيت المطهر ولها من العمر تسعون عاماً وله من عمره الشريف عشرون عاما . وانها انتقلت الى عالم الخلود وهي قريرة العين جذلة بما وصل اليه ولدها العزيز من علو المكانة وما أوتي من الحكم والنبوة

إننا نراها لم تعمر طويلا كمعاصريها ويعلل المؤرخون الاسباب فى فى ذلك من تأثرها للحادثتين اللتين أثرتا عليها تأثيرا أساء الى صحتها الغالية . وأولى الحادثتين ازعاجها وجزعها لاشرافها وولدها على الهلاك من الظمأ حتى أكرمها الله تعالى ونجاها بظهور زمزم . والثانية الشروع فى ذبح ولدها ولولا فضل الله تعالى ورحمته على هذا البيت لارداها القنوط لساعتها وليس يخاف علينا وطأة الشكل وما يجره من البرحاء والعذاب الأليم

كان حريا بالقلم أن يشحذ عزيمته ويستجم قريحته ليقوم بما يجب من التأبين والذكرى ولكنه قد يجد عزاء وسلوة بأنها تتنعم وتهنأ بما قدمته للبشرية من ذكريات طيبة ومعانى سامية حيث يسعى الناس كما سعت ويستنزلون عليها الرحمات كلما سعوا ويتضلعون من زمزم للتبرك كما تضلعت رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد

هذا وسنتكلم إن شاء الله تعالى فى المقال التالى عن أكبر حادث حدث فى العمران وهو اشادة بيت الله المحرم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الثانية عشر

اشـادة البيت

بناء الملائكة للبيت ـ بناء آدم للبيت ـ بحث عن وظيفة المرأة ـ حج آدم ـ البيت عند الطوفان ـ بناء إبراهيم وإسماعيل للبيت ـ الحجر الاسود ـ الاسكندر يقابل إبراهيم ـ نداء إبراهيم ـ حج إبراهيم ـ حج المؤلف ـ حكمة انشاء البيت ـ ما أوحي إلى آدم عن البيت

الحمد لله الذى خلق الانسان وأودعه أسرار حكمته والصلاة والسلام على من كان خلقه وبعثه من آثار رحمته وعلى آله وصحبه الناهجين نهجه العاملين بسنته وبعد

إن مدار بحثنا اليوم سيكون حول أكبر حادث حدث بالعمران وهو إشادة البيت العتيق المطهر الذى شرفت به الارض لنسبته إلى مالك نواصى العباد المهيمن على جميع الكائنات عظم جاهه وجل ثناؤه

يقول الباحثون العارفون إنه لما توجهت إرادة الله تعالى أن يشرف الأرض باقامة بيته المطهر وكان من مقتضيات حكمته وشأنه أن تكون المسببات مرتبطة باسبابها . فقد وجه سبحانه هذا الخطاب العالى

(وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون) ويعنون بالمفسدين أولئك الخلق من الجن الذين سكنوا الارض من قبل آدم . ولقد خاف الملائكة أن يكون المولى

عز وجل غضب لجدلهم هـذا فلاذوا بالعرش يطوفون به سبعة أطوافه يسترضون ربهم سبحانه وتعالى فتفضل عليهم بالرضاء ثم قال لهم ابنوا لى بيتا فى الارض يعوذ به من سخطت عليه من ذرية الخليفـة الذى ذكر بالاية الشريفة وهم بنو آدم فيطوفون حوله كما فعلتم بعرشى فأرضى عنهم وأغفر لهم . فأقاموا البيت المشرف.

لقد يوجد فى السماء السابعة بيت يقال له البيت المعمور يطوف به الملائكة كما نطوف نحن بالبيت الحرام وله حرمة كحرمتـه وهو تحت العرش وفى موازاته وكذلك أنشىء فى كل سماء بيت وكل منهـا تحت الآخر والبيت الذى فى السماء الدنيا هو بيت العزة

وكان البيت الذى أقامته الملائكة بكوكبنا الارضى من ياقوتة حمراء ولما خلق أبو البشر آدم وهبط إلى الارض أراد خالقـه تعالت عظمته أن يزيده تشريفا وتكريما فأوحي اليه أن يبنى بيته المحرم وقد خط الامين جبريل مكانه ليكون تحت بيت العزة فصار آدم يحفر وحواء تساعده حتى ظهر الماء على عمق عظيم فقذف الملائكة الصخر فيه كل صخرة لا يطيق ثلاثون رجلا حملها فعند ما تم الاساس على هذه الكيفية أقيم البناء فوقه . ونزل الحجر الاسود وهو يضىء كلؤلؤة بيضاء وقد جعـل آخر مدى وصل اليه نوره من جميع الجهات هو الارض الحرام للبيت المطهر

لقد مرت بنا نظرية لا يصح لنا أن نتركها تمر بغير ان نبحث فيها على قدر ما يسمح المجال.

يقول أهل الاخبار إن آدم كان يعمل فى حفر أساس البيت المطهر

وحواء تساعده وهذا يؤيد رأي القائلين بوجوب مكاتفة المرأة مع الرجل فى ميدان العمل كما سنت ذلك أمنا الاولى ولكننا لو نظرنا للامر من وجهة الحقيقة لوجدنا أن آدم وأهل الارض معه لا يستطيعون أن يحفروا الاساس إلى العمق الذى وصل اليه ولو اجتمعوا له

أما العمل الذى كاف به آدم فليس القصد منه عملا منتجا كمدلول منطوقه بل إنه لا يقصد به إلا تكريم الآدميين وتشريفهم ولا شيء يعادل شرف انشاء أول بيت يعبد الله تعالى به فى الارض . وكذلك أعطى للمرأة كفل من هذا التكريم لانها بضعة من الرجل

لقد يريد القلم أن يزج بى فى مضيق ليس الخروج منه من الهنات الهينات لانه بحث طويل قد لا يكفيه مقال مثل هذا وأضعافه معه . كنت أود أن أتكلم عن وظيفة كل من الجنسين بالتفصيل حتى أفند دعاوى القائلين بتكليف المرأة بما لم تخلق له حيث يريدون أن يبعدوها عن البيت فتتهدم أركانه وهذا البيت هو الوحدة التى تتكون منها الشعوب ومن المسلم به أنه إذا فسد الاساس اختل البناء وانهار

إننا لو رفعنا عن أعيننا مناظر الغرض لوجدنا أن وظيفة المرأة أجدى وأنفع من الناحية الاجتماعية لانها تخرج سلالة تنشئوها نشأة صالحة . هذه السلالة المرنة من واجب المرأة أن تهيأها وتصورها بصورة تكفل استقامة هذه الاعواد الرطبة فيشب النشء وهو عارف بحق بلاده بار بوطنه مخلص لأمته . هنالك ترى الوطن شامخ البنيان قوي الاركان بنهوض بنيه الابرار

أما هذه الغيرة الهوجاء التى تلتهب جذوتها فى صدور الغيورين على حرية المرأة فليست من المصلحة فى شيء وما مثلهم إلا كمثل من يريد أن يكاف الاشياء ضد طباعها

فنصيحتى إلى إخوانى وأبناء وطنى أن يزنوا الامور بميزان الحكمة والبصيرة حتى يتسنى لهم أن يضعوا الاشياء مواضعها وأن يتركوا كل جنس يقوم بواجبه . فالجنس النشيط عليه أن يكد ويكدح لينعم الجنس الآخر ويهنأ فيعمر البيت وتسعد الاسرة

هذا والاحجار التى بنى بها البيت المطهر جيء بها من ثمانية أجبل . من أبى قبيس بمكة المكرمه وهو أول جبل وضع على الارض . وجبل لبنان بارض الشام . وطور زيتا من جبال القدس . وطور سينا بين مصر وايليا وهو الجبل الذى ناجى سيدنا الكليم مولاه فوقه . ومن الجودي وهو بارض الجزيرة . ومن حراء بمكة . ومن أحد بطيبة الغراء ومن رضوى بالمدينة أيضا

وكان أبونا آدم يحج اليه ماشيا مرات عديده من الهند حيث نزل بجبال سرنديب . وامنا حواء قد نزلت بجدة فصارا يمشيان ليتلاقيا الى أن اجتمعا فى المكان الذى يسمى جمع وزلفت اليه بالمكان المسمى مزدلفة ثم تعارفا بالمكان المسمى عرفة فسميت هذه الاماكن بهذه الاسماء لهذه المناسبات . وقيل أيضا ان عرفة سميت بذلك عند ما انتهى سيدنا ابراهيم الخليل من حجه وعرف مناسكه كلها إلى أن وصل إلى هذا المكان كان سيدنا آدم يسأل الملائكة ما ذا تقولون من التسبيح عند

طوافكم ؟ فأجابوه إننا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقال لهم زيدوا ولا حول ولا قوة إلا بالله . وكان سيدنا شيث واخوته أولاد آدم يحجون هذا البيت المطهر وكذلك حذا حذوهم ذرياتهم من بعدهم أجيالا متعاقبة

وبعد ٢٢٤٢ عاما من خلق أبى البشر آدم عم الطوفان جميع الارض حتى أغرقها فرفع الملائكة الحجر الاسود حتى لا تلحقه نجاسة الماء الذى تلوث برمم الخلق والحيوانات المائتة واستودعوه جبل أبى قبيس وديعة حتى يأتى من يستلمه ولذلك ينعتون هذا الجبل بالجبل الامين

ولما ذهب الطوفان صار مكان البيت ربوة حمراء لا يعرف حرمته إلا المصطفون الاخيار. وكذلك الملائكة يصلون عنده ويطوفون حوله

وبعد ١٠٨١ عاما من الطوفان بعث سيدنا ابراهيم الخليل وقد أوحى الله اليه أن يبنى هذا البيت المطهر فامتطى البراق وسار حتى وصل الى الحجاز فوجد ولده الصادق اسماعيل تحت ظل أيكة بجوار زمزم يبرى نبلا له وكانا لم يلتقيا من أمد بعيد فلو أصخت بسمعك عندما تلاقت الانظار لسمعت دقات القلوب أهاجها الشوق الكامن بين الجوانح وأن ليس فى استطاعة القلم أن يصف حلاوة هذا اللقاء ولكن ريشة المصور الماهر وحدها هي التى ترسم لنا قبلات الحنان والعطف وكيف كان العناق حادا وحارا بين ولد بار ووالد رحيم وبعد أن أطفأ جذوة الشوق أخبر ولده بالسبب الذى أقبل لاجله وكلفه أن يساعده فى إقامة البيت المطهر فما كان جوابه إلا أن قال السمع والطاعة لله ولك يا أبت

هذا وقد أرسل الله تعالى سحابة فوق البيت ليكون مسطح البناء على موازة ظلها فصارا يكشفان التراب حتى ظهر الاساس الذى أسسه أبونا آدم مع الملائكة (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)

صار إبراهيم يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وإننى الفت الانظار إلى القوة الخفية التي تداولهما حتى يضطلعا بهذا الامر الهام وكانا أثناء البناء يدعوان الله سبحانه وتعالى (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

ولما ارتفع البناء عن الارض وقف ابراهيم على حجر وذلك الموضع هو مقام إبراهيم الذى قيل فيه (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى). إنه ليخيل إلي أن هناك سائلا يسأل ماذا صنع إبراهيم عند ارتفاع الحوائط هل نصب سقالة ليرتفع عليها حتى يتمكن من البناء؟ فجوابى اليهم إنه لم ينصب انصاباً ولكن الحجر كان يرتفع فى الهواء كلما ارتفع البناء. إنى أنظر إلى وجوه القوم فأرى الشحوب باديا عليها بل وابتسامات السخرية تنفرج عنها شفاههم فضلا عن تهكمهم وقولهم كفانا تخريف وتهريف فأقول لهم كفاكم مكابرة ومهاترة فالعلم الحديث يسحبكم ليريكم زرا صغيرا من الكهرباء يضغط عليه الانسان فيحرك آله من أضخم الآلات تحمل القناطير المقنطرة من الاثقال. وهذا التوليد الكهربائي

هو من صنع الله عز وجل وكذلك رفع الحجر فانه بقدرة من يقول للشيء كن فيكون. وإذا أردنا أن نرجع بالامور الى أسبابها تمشيا مع عقليتهم نقول إن الحجر قد ارتفع بقوة مغناطيسية أو كهربائية سخرت لهذا الغرض

ولما اراد سيدنا إبراهيم أن يضع الركن ليكون علامة لابتداء الطواف كلف ابنه الجليل إسماعيل أن يتخير حجرا مليحاً ليجعله لهذا الغرض ولكن أبا قبيس قد تمخض عن الوديعة التي استودعها وسلمه الحجر الاسود فوضعه فى الركن وسنعيد الكرة إلى التحدث عن هذا الحجر الاسود

يقول المؤرخون إن الاسكندر المقدونى هذا العبد الصالح والفاتح العظيم لما وصل إلى الحجاز قيل له إن هنا إبراهيم خليل الرحمن قال ماينبغى أن أركب فى بلدة فيها خليل الرحمن وظل ماشيا حتى وصل اليه وهو يبنى البيت المشرف فعانقه سيدنا إبراهيم . وهذا أول عناق حصل فى السلام . ثم سأله الاسكندر لماذا تبنيان هذا البنيان ؟ فقال له إننا عبدان مأموران . قال ومن يشهد لكما بهذا ؟ وكان بجواره خمسة أكبش ترعى فأشار اليها فقالت الاغنام نشهد أنهما عبدان مأموران

ارتفع البناء حتى وصل إلى تسعة أذرع من غير سقف وبهذا قد تم بناء البيت كما يريد صاحب البيت تبارك اسمه وتعالى جده

وبعد ما انتهى قال يا رب قد فرغت قال (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) . قال يا رب وإلى أين يبلغ ندائى قال انما عليك النداء وعلينا البلاغ فارتقى أبا قبيس ونادى

باعلا صوته . إن لله بيتا فحجوه فلبى نداءه كل روح من الارواح الحاضرة والتى لا تزال فى غامض علم الله تعالى المكتوب لها الحج وكل من قدر له الحج مرة رد مرة ومن كتب له أكثر رد أكثر

ثم لما فرغ من ندائه أخذه سيدنا جبريل هو وإسماعيل وعلمهما المناسك فحجا كالحج الذى فرض فى الاسلام . وعند ما التقى بالملائكة قال ماذا تقولون من التسبيح عند طوافكم ؟ قالوا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وزدنا ولا حول ولا قوة إلا بالله كما علمنا أبوك آدم . فقال زيدوا أيضا العلي العظيم وهذه الكلمات هي الباقيات الصالحات التى هي خير من المال ومن البنين بل ومن الحياة الدنيا وزينتها

لقد منّ الله تعالى على عبده بان حججت ثلاث حجج ولما تشرفت بالمثول أمام البيت المطهر خضعت وخشعت حيث عرفت أن هذا هو البيت الذى يقول الله عز وجل فيه (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا. وفى موضع آخر- أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم)

فكرت وفكرت مليا ثم قلت . هذا بيت ربنا ماثل أمامنا . سبحان ربنا الكبير المتعال . لماذا لا يكون بيت ربنا من زخرف ولبناته من لجين ومن نضار وترصع حوائطه بنفائس الاحجار وترابه الند والعنبر وحصباؤه اللؤلؤ والمرجان وهو على كل شيء قدير ؟

سبحانك ربنا وتعاليت ياذا الجلال والاكرام . لماذا تضع بيتك الكريم فى هذه الارض الجرداء بين هذه الجبال القاحلة ؟ ولم لا تضعه بين جنات وعيون ومقام كريم مثل هضاب سويسرا الخصبة أو ربوع

لبنان الجميلة أو فى بقعة من أخصب أرضك وتفجر الأنهار خلالها تفجيرا حتى تنبت الزرع والنخيل والاعناب وأنت صاحب الملك والملكوت ؟

وكأنى بلسان العزة الصمدانية يجلى لنا الحقيقة حيث يقول إننى أبعدته عن العمران والمدنية لاخرج منه إنسانا كاملا هو صفوتى من خلقى اختصة برسالاتى وبكلامى . ينشأ بهذا البلقع القفر بين هذه الامة الامية لم يمارس كتابا ولم يخط حرفا بيمينه ليكون دليلا حسيا على أنه (ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى) . كذلك وقد جعلته بعيداً عن العمران حتى لا يشغل القاصد الى بيتى شىء من اللهو ومن الرياضة بل إنه يأتى إلي متجردا من ذاتيته ليشاهد بروحانيته ملكوت السموات والارض .

والحقيقة التى لا مراء فيها أن هذه المشاهد تمثل أمامنا أحجاراً وترابا ورمالا من معدن أرضنا ولكن شيئا آخر يزين هذا البيت المشرف يزينه أثمن من الاحجار الكريمة وأغلى من الجواهر واللآلى هو الجلال الذى يحف به لاضافته إلى خالق الخلق ومالك رقابهم ومقلب قلوبهم والملائكة يطوفون حوله صباح مساء يمجدون الله تعالى ويسبحونه ويقدسونه

واليك مايقوله المحدثون . إن الله تعالى أوحى إلى آدم عليه السلام . أنا الله ذو بكة أهلها جيرتى وزوارها وفدى وفى كنفى اعمره بأهل السماء وأهل الارض يأتونه أفواجا شعثا غبراً يعجون بالتكبير عجا ويرجون بالتلبية ترجيجا وينجون بالبكاء نجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى

وضافنى ووفد الي ونزل بى وحق علي أن أتحفه بكرامتى . أجعل ذلك البيت وذكره وشرفه وثناءه ومجده لنبي من أولادك يقال له إبراهيم أرفع له قواعده واقضى على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأريه حله وحرمه وأعلمه مشاعره ثم يعمره الامم والقرون حتى ينتهى إلى نبي من ولدك يقال له محمد خاتم النبيين واجعله من سكانه وولاته وحجابه وسقاته ومن سأل عنى يومئذ فأنا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم المقبلين على ربهم .

عدا هذا الجلال الذى مر بك ذكره فان العارفين بعلم الكلام يقولون أنه عند ما أريد خلق الارض خلق هذا البيت أولا ثم تولدت الارض من معدنه فهو الاصل الاصيل لخلق الارضين

وإنك لتشعر بقدسية المكان وعظمته حيث لا تدخله إلا بحالة مخصوصة هي أن تحرم من أماكن معينة تتجرد من ثيابك وتؤدى المناسك التى أوضحها الشرع المصون

هذا وان الكلام عن البيت العتيق المطهر يستغرق أكثر من محاضرة لذا نرجىء تتمة الحديث عنه إلى المقال التالى إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الثالثة عشر

البيت أيضا

شرف البيت - لم سمي عتيقا - المساجد التي تشد اليها الرحال - الحجر الاسود أيضا - قول عمر وعلي فيه - احتراق الحجر - الحكمة من الطواف - الحكمة من التشريع - قواعد الاسلام الخمس - مزايا الحج - كسوة الكعبة

الحمد لله مؤجل الآجال مسبب الاسباب والصلاة والسلام على قطب فلك الجمال عزيز الجناب وعلى آله أهل الوفاء والكمال والسادة الاصحاب وبعد

لقد تجمد العقول وتستعصى القرائح أمام الاضطلاع بشرح مزايا وفضائل بيت تقال فيه العثرات وتحط الاوزار وتجاب فيه الدعوات وترفع الاقدار . بيت قيل بشأنه فى الكتاب العزيز (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم)

ومهما قلت وأطنبت فانه لا يتسنى لضعيف مثلي استيعاب جميع النواحى المتعددة عن فضل البيت وشرفه لان هـذا يحتاج الى مجلدات وأسفار كذلك وليس فى مقدورى أن أتكلم بتوسع واسهاب عن الشعائر والمشاعر وكتب الفقه فيها غنية وفائدة لكل طالب

أما الذى يدعونى إلى التحدث عن البيت وشرفه لما لهذا من علاقة بسيرة سيدنا الخليل لانه المؤسس للبيت بعد أبى البشر آدم

لقد سمي هذا البيت عتيقا لانه أعتق من تسلط الجبابرة عليه أن

يهدموه أو يحتقروه . وانه أعتق من فيضان الطوفان أن يلوثه . وسمى عتيقا لقدمه حيث هو أقدم بيت وضع فى الارض للعبادة (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)

وهو أحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال وهي المسجد الحرام هذا . وبيت المقدس وقد بناه سيدنا يعقوب بن إسحق وجدد بناءه سيدنا سليمان بن داود . ومسجد المدينة الذى يضم الجثمان الطاهر الذى يرحم الله تعالى به الارض كما هو رحمة للعالمين وبالمؤمنين رؤوف رحيم

صفنا المطوف أمام الحجر الاسود لنبدأ منه بالطواف . ففكرت فى كنه هذا الحجر فذكرت قول المتفقهين إنه يمين الله فى الارض ومن استلمه كأنه يبايع الله سبحانه وتعالى ولهذا قد استلمه سيدنا الانسان الكامل وقبله . وقد وقف أمامه أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب أثناء خلافته فأخذ يشير اليه ويقول إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أن رسول الله صلوات الله عليه قبلك ما قبلتك يقصد بهذا ان الناس كانوا حديثى عهد بالوثنية ويخشى أن يجلوا لهذا الحجر شأنا كما عكفوا على الاصنام من قبل . ولكن باب مدينة العلم مولانا الامام عليا عليه السلام قال يا أمير المؤمنين ان هذا الحجر يضر وينفع لما ورد فى كتاب الله تعالى (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) وكتب ذلك فى رق ثم ألقم الحجر . فقال سيدنا عمر أعوذ

لله أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن

ولاجل ذلك يحسن أن يقول المستلم له اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيت به لتشهد لى عندك بالوفاء

هذا وقد احترق الحجر مع حريق الكعبة فاسود من أثر هذا الحريق . وقد قال علماء الكلام عن الحجر الاسود أحاديث كثيرة منها أنه لم يبق من آثار الجنة فى الارض إلا الحجر والركن

ما أحلا منظر الطواف إذ ترى نفسك وسط بحر زاخر من الطائفين فتارة تقذف بك أمواجه خارج المطاف وطورا ترى نفسك لصيقاً بالكعبة زادها الله تشريفا . قل لى بربك . أي فرح وأي جذل يشرح الفؤاد ويثلج الصدر أحسن مما نرى أنفسنا نتشبه بالملائكة الكرام فى فى هذا الطواف ؟ وأيضا انك ترى الدمقراطية ممثلة فيه حيث لا يقدم أحد أحداً أو يتعالى أحد على أحد بل الجميع يستوون فى هذا المقام

ولقد فكرت مليا فيما هي الحكمة من هذا الطواف فهدانى التفكير اننا نعتبر هذا البيت المشرف كانه بيت الملك ونحن نلتمس المدد والبركة من المالك لنواصي الخلق أجمعين فنطوف حوله حتى تفتح مغاليقه المعنوية ونحظي بالوصول إلى حظيرة القدس فيتجلى علينا المنعم الكريم بما هو أهل له من المن والعطاء

إنك لو قلبت معى بين طيات الصحف القيمة وكتب الشريعة المطهرة حتى تتلمس الحكمة الرائعة من التشريع السماوي . هل يستفيد المشترع منه أم هو لمحض خيرنا وفائدتنا ؟ . إنك لترى قواعد الاسلام الخمس كلها

منصرفة إلى نفع الانسان ورفاهته . مع العلم بان الله سبحانه وتعالى لا تنفعه وطاعتنا لا تضره معصيتنا (إن تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعاً فان الله لغني حميد)

وأولى القواعد الخمس الشهادة . وفائدتها أن لا يدين شخص لشخص بل الكل سواسية يدينون بالعبودية إلى واحد أحد فتسير الاحوال كما قدر لها أن تكون وتستقيم الامور على مقتضى حكمة مولانا الحكيم جل شأنه

والصلاة صلة بين العبد وربه وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر وإنك لترى المصلي خاشعا لين العريكة يخشى الله تعالى فى سره وعلانيته فضلا عما فى الصلاة من مزايا مادية كثيرة كالنظافة فى الوضوء والرياضة فى حركات الصلاة

ومن مزايا الصيام ان الانسان يتشبه فيه بالملائكة الكرام يروض نفسه على الروحيات حيث يكف عن شهواته بياض نهار يكون فيه ملكوتيا بالمعنى الصحيح ومن مزاياه أيضا أن الانسان متى شعر بالجوع يفكر فى البائسين الذين يعضهم الجوع بنابه فيعطف عليهم ويواسيهم وهذا العطف هو الانسانية الروحية العالية

وانى أحيلك على النظر في الاشتراكية التى تفشت فى أوروبا وما هي إلا زكاة المال بعينها أخذت من تعاليم الاسلام القويمة ومن فائدتها العظمى أنها تجبر بخاطر المسكين الكسير فتذهب من نفسه الحفيظة والحقد على الاغنياء والموسرين فتقل الجرائم ويستتب الامن والنظام

اما الحج فله مزايا لا يستهان بها وفوائد جمة لعامة المسلمين . منها ان الحج كمؤتمر عام تجتمع فيه شعوب الاسلام للتفاهم والتباحث فيما ينفع الاسلام كمؤتمر لاهاي الذى يحتكم اليه الافرنج فيما يحدث من الخلاف بينهم او كعصبة الامم التى تنضم اليها شعوب اوربا وبعض شعوب أسيا

ومن مزايا الحج ايضا ان الحاج وهو بثياب الاحرام يتذكر الحشر يوم يقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة فيقلع عن الذنوب ويرجع عن الآثام

هذا ولا يغرب عن بالكم ان المنهيات كلها لصالح الانسان وحفظ نوعه ايضا فما ينهاك الشرع المصون الا عن شيء فيه مفسدة ومضرة فمثلا ينهاك عن الميسر لحفظ مالك وعدم ضياع وقتك والوقت من ذهب. وينهاك عن الخمر احتفاظا بصحتك واستبقاء لمالك وناموسك. وعن الزناء لحفظ نسبك ومعرفة ولدك (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقس على ذلك باقى المنهيات

وكذلك ثياب الاحرام ليس فيها مخيط او محيط فهى تشبه الاكفان فعندما يشتمل بها الانسان يتذكر مصيره الى الدار الآخرة فيعمل على صلاح نفسه واستعداده للحياة الخالدة استعدادا يؤهله أن يحشر فى زمرة الذين انعم الله عليهم من الصديقين والصالحين

وقد تقشعر جلود المخبتين عندما يشعرون انهم تجردوا من ثيابهم

اعظاما واكبارا لحرمة البيت وصاحب البيت جل شأنه وتبارك اسمه

تعال معي لنبحث مليا فى كنه هذه المشاعر التى تضرب اليها اكباد الابل وتترى اليها الوفود هل ترى فيها اي تزويق او تنميق ؟ فمثلا عندما تكون فى ساحة الموقف بعرفه فلا ترى الاجبالا ووديانا ليس فيها للعمران من أثر . ثم تقف امام المشعر الحرام فما تراه الا قطعة من جبل وليس عليه حلي او حلل وليس مزدانا بلؤلؤ او مرجان او مبرقشا بنقش من الالوان الامر الذى يشعرنا انه دين لاعوج فيه ولامواربة (قل انى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)

ثم ومن الوجهة الاجتماعية العمرانيه ترى منافع كثيرة فى الحج ذلك ان الحاج ينفق ماله فى أجر المواصلات برا وبحرا وهذه النفقة تصل الى جيوب عواهل العائلات فيوسعون بها على ذوى ارحامهم وعائلاتهم وهكذا تتداول النقود بين الناس فيحصل الرواج ويجيء اليسر والرخاء من حركة الاخذ والعطاء

لهذه المناسبة انى انتقد من يلوم الناس على اظهار افراحهم بالاحتفال باعراسهم او الاحتفاء بجنائزهم او ما تمهم واذا كان كل منا يكون كنودا يضن بماله ان ينفقه فى مثل هذه الاحوال فمن اين ياكل الفراش وتابعوه والبائع الذى يبيع القماش للخيمي الذى يصنع الخيمة للفراش ؟ ومن اين ياكل البدال الذي يبيع البن وما اليه من لوازم القهوة وهلم جرا ؟

وكذلك فى الولائم للافراح وقد تواتر الينا أن سيد الوجود أولم لعرس سيدة نساء العالمين السيدة الزهراء فاذا لم تعمل هذه الولائم وهذه المظاهر تظل الامة منزوية تعيش فى كآبة وفقر مدقع

اما الامر الذى يجب ان ننتقده ويجب ان يحذر الناس من شره هو التبذير والاسراف وهذا كتابنا الكريم يلفتنا الى الاعتدال والقصد بقوله الحكيم (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) وعلى كل فان خير الامور الوسط ويجب ان نكون عند حد بين التفريط والافراط

كذلك ولا بأس من اقامة المهرجانات للموالد والذكريات لانها تحدث من حسن الاثر فى التأسى وتتبع مآثر الافذاذ من الامة ما يولد الشهامة وحب الخير وحسن الخلق فى جميع الافراد ذلك فضلا عما يحدث من اقامة مثل هذه المهرجانات من الرواج والرخاء . انما الواجب ان تكون بريئة بعيدة عن المنكرات حتى لا تنقلب من الخير الى عكسه

والحج ايضا يفيدك من الناحية الاجتماعية حيث تستفيد من معاشرة الناس فتتجنب الفاسد من اخلاقهم وتأخذ بالنافع المفيد منها وكذلك انك تروح عن نفسك بمناظر جديدة لا عهد لك بها من قبل. وعلى كل حال ان الحج فيه منافع وفوائد عظيمة ذكرت اجمالا فى الايات الشريفة (واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم

ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)

هذا وانى انصح لامتى ان تبادر الى اداء هذا الركن الاسلامي العظيم. ولولا انى اخرج بكم عن الدائرة التى وضعت فيها نفسى كمؤرخ اتكلم عن سيرة سيدنا خليل الله عليه سلام الله وتحيته ورحمته لتكلمت عن مزايا الحج ووصفت المشاعر بدقة وصف خبير شهيد إلا انى قمت بهذا الواجب بكتاب المملكة الروحية للعالم الاسلامي

هذا وقد تصدع بناء الكعبة المشرفة فى زمن قريش على أثر سيل حط من اعالى الجبال حتى غطى جدرانها وقد جاء هذا السيل ايضا عقب حريق بسبب شرارة تطايرت من مجمرة كانت تحملها احدى القرشيات تبخر بها الكعبة فتعلقت باستارها واندلع لهيبها . ولما حصل بها هذا الصدع اتفق القرشيون جميعا ان ينقضوا البناء ليجددوه . وانهم اعظاما لهذا الامر الذى يقدمون عليه وهو اشادة بيت الله المحرم اتفقوا على ان يجمعوا النفقة من بينهم كل على حسب ميسرته متعاهدين ان تكون من مال حلال طيب ليس فيه مهر بغي او بيع ربا او مال مغتصب فهدموا البناء حتى وصلوا الى الاساس الذى أسسته الملائكة مع سيدنا آدم ابى البشر فتركوا هذا الاساس على حاله لانهم وجدوا الصخرات مشبكة فى بعضها كشبكة محبكة الاطراف ليس فى وسع آدمي ان ينقضها

ويقول المؤرخون انهم وجدوا فى الركن كتابا كتب بالسريانية عربه لهم احد اليهود فاذا فيه . إنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء لا يزول اخشباها .

اى جبلاها يبارك لاهلها فى الماء واللبن .

ووجدوا كتابا اخر فى المقام مكتوب فيه . مكة بلد الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل

ووجدوا ايضا كتابا اخر مكتوب فيه . من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيئات وتجزون الحسنات

اخذت قريش تجمع الحجارة كل قبيلة على حدة وكان بنو هاشم يأخذون نصيبهم فى جمع الحجارة وبينهم السيد الامين وهو فى مستهل الحلقة الثالثة من حياته الشريفة

صارت قريش تقيم البناء وقد ضاقت بها النفقة أن تتمه على بناء ابراهيم فاقتطعوا منها الحجر وعملوا عليه سورا قصيرا علامة على أنه من الكعبة ورفعوا الباقى إلى أن أتموه كارتفاعه الاول

ولما أرادوا أن يضعوا الحجر فى الركن أصرت كل قبيلة أن تختص هي بشرف وضعه وقد شجر الخلاف حتى كاد ينشب القتال بينهم لولا أن توسط العقلاء منهم ورأوا أن يحتكموا إلى أول داخل من باب بنى شيبة وتصادف أن دخل منه السيد المختار فهشوا لقدومه وفرحوا لانهم كانوا يعهدون فيه الامانة والصدق وعدم المحاباة حتى كانوا فى كثير من أحيانهم يحتكمون اليه فى اختلافاتهم وحتى كانوا يودعون عنده أماناتهم فلما دخل وعرضوا عليه أمرهم بسط رداءه الشريف ووضع عليه الحجر وأمر أن تأخذ كل قبيلة بطرف من الرداء ويرفعوه جميعا ثم تناول هو الحجر ووضعه مكانه وقد اختص عليه الصلاة والسلام بشرف وضعه فى محله

وبهذه الحكمة قد حقن دماء القبائل

ولما فتح الله تعالى أم القرى على رسوله الكريم كان يريد أن يعيد بناء البيت كما كان فى عهد إبراهيم عليه السلام وما منعه عن هذا إلا أن القوم كانوا حديثى عهد بكفر وتخشى عليهم الردة لو أحدث حدثا فى عمارتهم

ولما احترقت الكعبة فى زمن أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير وتصدع بنيانها نقضه وأعاده ثانيا وأعاد فيه الحجر كما كان فى زمن إبراهيم عليه السلام لأنه سمع هذا الحديث من خالته الوقورة أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقية عليها وعلى أفراد اسرتها الكريمة وكل آل النبي وصحبه سلام الله وتحيته ورضوانه

ولما تغلب الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي على ابن الزبير وقتله واستتب الامر لعبد الملك بن مروان هدم البيت وأعاد بناءه إلى ما كان عليه فى بناء قريش.

ولما دالت دولة بنى أمية وامتلك العباسيون الخلافة أراد الخليفة المنصور أن يعيد بناء البيت الى بناء ابن الزبير لانه سمع الحديث السالف عنه فقال له الامام مالك بن انس إمام المذهب بالله عليك لا تفعل فتجعلها الملوك العوبة يهدمونها ويبنونها فتركها وظلت على ماهي عليه الى الآن . وكان القائمون بالامر يرممون البناء عند الاحتياج . اللهم زد بيتك الكريم تشريفا وتعظيما وبرا وفضلا وضاعف حسناتك وتحننك على كل من حجه أو اعتمره

هذا وأول من كسا البيت الملك تبع الحميري وذلك قبل الاسلام

بنحو التسعمائة سنة ثم كساها عدنان بن أدد . ثم كستها قريش وكساها سيد الكائنات وكساها ملوك الاسلام إلى أن اختصت مصر بشرف إهداء الكسوة كل عام فعسى أن يوفق أولو الامر منا فى استعادة هذا الشرف والتقرب إلى الله تعالى بهذه المبرة العظيمة

نقف إلى هنا الآن وفى المقال التالى إن شاء الله تعالى سنتمم الكلام عن السيرة الخليلية المباركة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الرابعة عشر

الخاتمـــة

حياة إسحق ونبوته ـ دعاؤه للعيص ويعقوب ولديه ـ زواج العيص ويعقوب وذريتهم ـ تنازع البقاء بين الشرق والغرب ـ وفاة السيدة سارة ـ زواج الخليل بعدها ـ وفاة سيدنا الخليل ـ قبور البيت الخليلى ـ وفاة إسماعيل ذكر ذريته ابتداء من عدنان ـ حسن الختام بخاتم الرسل

الحمد لله الباطن والظاهر والاول والآخر والصلاة والسلام على من كان لله خير ذاكر وأعظم شاكر سيدنا رسول الله وآله وصحبه ذوى المكارم والمفاخر وبعد

فاننا تركنا سيدنا إسحق يتنعم فى ثراء أبيه وعزه ولما بلغ أشده بعثه الله نبيا إلى أهل الشام يدعوهم إلى صراط العزيز الحميد

وقد زوجه أبوه الكريم من الآنسة الفاضلة ربقا ابنة بتويل بن

تاخور أخى الخليل إبراهيم فجاءت بتوأمين فى بطن واحدة ووضعتهما غلامين سويين هما العيص ويعقوب

ومن لطيف ما يروى عنهما أنهما وهما أجنة تنازعا النزول من الرحم فقال العيص لاخيه إن نزلت قبلى لا تعرضن فى بطن أمى فاقتلها فتنحى يعقوب حتى خرج اخوه . وكان العيص ذا شدة وبأس وكان مشعرا شعر جسده كالفراء وكان همه الصيد والقنص

أما يعقوب فكان أمرد سلس القياد لين العريكة وكان الاب يحب العيص والام تحب يعقوب وكان سيدنا إسحق قد امتحن بذهاب بصره فصار كفيفا فقال يوما لابنه العيص اذهب وائتنى بصيد آكله لأدعو لك دعوة دعاها لى أبى فتجهز وخرج للصيد فقالت الام ليعقوب إذهب انت واذبح شاة واشو لحمها وقدمه لابيك والبس جلد الشاة ليلتبس عليه أمرك فيظنك العيص فيدعو لك الدعوة التى وعد أخاك بها فلما قدم له الشواء وتقدم اليه قال المس مس العيص والريح ريح يعقوب لانه فطن والفطنة من الواجبات فى حق الرسل كما تعرفون . فقالت له الام بل هو العيص فكل من صيده وادع له . فدعى له أن يكون الملك والنبوة فى بنيه فكان من نسله بنو إسرائيل . وإسم يعقوب إسرائيل وتعريبه صفوة الله

ولما عاد العيص من الصيد تقدم لأبيه باللحم وقال له كل يا أبت فقال لقد سبقك بها أخوك فحنق عليه وحلف ليقتلنه . ولكن أباه قال له بقيت لك دعوة تعال أدعو لك بها فدعى له أن يكون نسله عدد التراب ولا يحكمهم غيرهم

وقد تزوج العيص من الآنسة الكريمة نسمة ابنة عمه الصادق اسماعيل فعقبت منه بولدها الروم وهو أصل الروم وغيرهم من الاسبان والفرنجة والارمن واليونان

أما يعقوب فبعد ما اختبأ من أخيه ردحا من الزمن عند خاله عاد فتصافى مع اخيه وقد بعث نبياً إلى أرض كنعان وتزوج من الآنسة ليابنت لابان بن بتوبال خاله خلف منها أربعة أولاد. هم روبين وشمعون ولاوى ويهوذا ولما توفيت تزوج من أختها راحيل خلف منها يوسف وبنيامين ثم تزوج من زوجة أخرى اسمها سيرين خلف منها ستة آخرين هم يساخر وربتلون ودان ونفتالى وكادواستر وهؤلاء الستة هم باقى الاثنى عشر سبطا الذين يتكون منهم شعب بنى إسرائيل المعروف فى التاريخ ومن بينهم سيدنا يوسف الصديق صاحب القصة المصرية الموصوفة بالقرآن الكريم انها أحسن القصص وهي لا تدخل فى برنامج سيرتنا هذه

إننا لو ألقينا نظرة على ما مر بنا من الحديث لتبين لنا أنه بين العرب وبين الروم والافرنج لحمة نسب وصلة قرابة حيث ان سيدنا إسماعيل هو أبو العرب والعيص بن إسحق أخى إسماعيل هو أبو الروم والافرنج وأمهم نسمة بنت إسماعيل. فتأمل كيف أن المنافسة فى الحياة تضيع معها القرابة وتداس الارحام

ومن هذا التنافس والتزاحم قد تألفت فى الكون جهتان قويتان تتنازعان البقاء هما الشرق والغرب فهما دائما فرسا رهان وفارسا ميدان وطيلة حياتهما وهما يشدان طرفى الحبل فمرة غالب ومرة مغلوب وكل منهما

فى كفة الميزان فمنهما راجح ومنهما مرجوح

فوان كان الشرق هو مهبط الوحي ومهد العلم ومنبع النور والعرفان الا أن أهله قد اعتزوا بمجدهم فركنوا الى القعود وتركوا تراثهم نهبا لابناء الغرب حتى تبوأ هؤلاء مركزاً سما بهم إلى السيادة على الكون كله حتى اصبح الشرق يعض أصابع الندم على قعوده واستكانته

وعندى أن العامل الاكبر فى قعود أهل الشرق هو تنكبهم عن مكارم الاخلاق التى منها الاقدام والهمة والشجاعة وعدم الخنوع والخضوع.

نعم وإن كان الشرق قد ابتدأ ينفض عن كاهله غبار الخمول إلا أنه لا بد له من الاحتفاظ بتقاليده التى هي مجده التالد وألا يغتر بهذه المدنية الخلابة فكل نهضة لا تقوم على أساس متين من مكارم الاخلاق يكون مصيرها الى الانهيار والدمار

مكث سيدنا الخليل في رغد من العيش وفى هدوء بال وكان الملك فى زمنه هو الملك عفرون كان ينظر اليه نظرات احترام واعظام. وقد اراد سيدنا ابراهيم ان يستحوذ على مغارة مجاورة لمحل اقامته ليتخذها مقابر لذريته الشريفة فطلب ان يبتاعها من الملك ولكن هذا قد أبى ان يبيعه اياها بل انه الح عليه ان يقبلها منه هدية فابى الا ان ينقده ثمنها فاراد الملك ان يمازحه فقال له أبيعك اياها باربعة الاف درهم كل درهم زنة خمسة دراهم وكل مائة درهم مسكوكة فى عهد ملك من الملوك وقد اراد الله سبحانه وتعالى ان يكرم خليله فاعطاه من خزائنه التى لا تنفد كل ماطلبه الملك فسلمه اليه وتسلم منه المغارة

اتمت السيدة الجليلة سارة حياتها الشريفة الى ان بلغت من العمر ١١٧ عاما انتقلت الي جوار ربها الكريم وكان ولدها السيد اسحق يبلغ من العمر ٢٧ عاما ودفنت بالمغارة

وقد تزوج سيدنا ابراهيم بعدها بامرأة من الكنعانيين ولدت له ستة اولاد هم بغشان . وزمران ومدان ومديان . ويشق وشرخ

ثم تزوج من اخرى خلفت خمسة اخرين تفرقوا جميعا فى البلاد فكانوا بمثابة البذور الصالحة لغرس الفضيلة ومكارم الاخلاق

اما سيدنا اسحق فقد ظل بالشام ليؤدى رسالته لهداية أهلها وليخرج فى هذة البقعة الطاهرة شعب بنى اسرائيل

عاش سيدنا ابراهيم ١٧٥ عاما ومن كرامته على مولاه انه لم يشأ أن يقبض روحه الطاهرة حتى يختار هو ذلك وعندما وصل به الاجل إلى نهايته ارسل اليه ملك كريم تمثل بهيئة شخص أنهكته الشيخوخة حتى صار لا يعرف اين يضع اللقمة فاحيانا يضعها فى اذنه او فى جبهته وعندما يهتدى الى فمه يمضغها بصعوبة وعند ما تصل الى جوفه تخرج من دبره بسبب ضعف معدته فاستنكف سيدنا ابراهيم ان يحصل له مثل هذا لو بلغ ارذل العمر فطلب ان يفارق هذه الدار الى دار الخلود فقبضت روحه الشريفة وانتقلت الى روح وريحان وجنة نعيم وقد دفن عليه السلام بالمغارة بحذاء قبر السيدة سارة وسبحان الحي الذى لا يموت

اما سيدنا اسحق فقد عاش ١٨٠ عاما ثم انتقل الي الحياة الخالدة لما اعده الله تعالى للابرار المقربين وقد دفن بالمغارة بحذاء زوجته ربقة

ودفن بهذة المغارة ايضا سيدنا يعقوب وقبره الشريف بحذاء قبر جده عليه السلام وكذلك السيدة لبقا زوجة سيدنا يعقوب واسمها أيضا ايليا فانها دفنت بالمغارة وقبرها بحذاء قبر زوجها الكريم

فكم لهذه المغارة من فضل وكم لها من شرف وبركة . انها تحوى هذه الاجداث التى تضم هذه الاجساد المباركة والله سبحانه وتعالى المسؤول ان ينفعنا ببركتهم . وهناك فى قرية الخليل بالقدس تشاهد النور والجلال يحف بهذه الرموس الشريفة اسبغ الله عليها صيب رضوانه واحسانه

نعود الى الحجاز حيث مقام السيد اسماعيل جد السادة العظماء وشيخ البيت الحرام وزمزم والمقام وقد عقب باثنى عشر ولدا كانوا كاسنان المشط فى الاستواء وقد ورثوا النبل والفضل عن والدهم الكريم حتى كانوا غرة فى جبين الدهر وكانوا الابوة الصالحة للعرب المستعربة الذين اشتهروا بالفصاحة والكرم والشهامة والشجاعة والمروءة

وبعد ما أدي سيدنا اسماعيل رسالته المباركة انتقل الى العالم الاخر راضيا مرضيا وقد دفن بالحجر من مكان البيت المعظم

هذا وقد سكت المؤرخون عن ذكر حفدة اسماعيل فلم يصل الينا عنهم ما يصح الاخذ به الا من تاريخ (عدنان) وعدنان هذا كان يعاصر سيدنا موسى نبي بنى اسرائيل

وولد لعدنان (معد) وقيل فى التاريخ ان بختنصر الطاغية المعروف لما سلط على العرب اوحي الله تعالى الى ارمياء من انبياء الاسرائيليين ان يحمل

معه معد بن عدنان هذا الى أرض الشام لانه سيخرج من صلبه نبي آخر الزمان المصطفى المختار ولما هدأت الفتن عاد الى الحجاز

وولده (نزار) وهو اول من كتب الكتاب العربي

وولده (مضر) هو الحسيب النسيب الذى جمع قريشا وكان على اخلاق حسنة وكان يعبد الله تعالى على ملة ابيه ابراهيم . وهو اول من عمل الحداء للجمال حيث انه ضرب عبدا له ضربا وجيعا على يده فصار العبد يتأوه . يايداه يايداه بترنم وتوجع وكان حسن الصوت فاقبلت اليه الابل من مرعاها ومن ثم صاروا يحدون لها فتستخف الاحمال وتسير سيرا حثيثا

وولده (الياس) وانه جاء لابيه وهو شيخ كبير فعظم أمره عند العرب حتى كانوا يدعونه كبير قومه وسيد عشيرته وهو اول من اهدى البدن للكعبة المشرفة . وكان الياس فى العرب مثل لقمان الحكيم فى قومه ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حزنا شديدا لم يظلها سقف بعد موته حتى قيل فى الامثال (أحزن من خندف)

وولده (مدركة) واسمه عمرو وقيل له مدركة لانه ادرك كل عز وفخر

وولده (خزيمة) وكان من الاشراف البارزين

وولده (كنانه) سمى بهذا لانه لم يزل فى كن من قومه وقيل ستره على قومه وحفظه لاسرارهم وكان شيخا مسنا عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يبشر بظهور النبي الكريم وكان لكرمه يأنف ان يأكل وحده فاذا لم يجد ضيفا ياكل لقمة ويرمى لقمة لصخرة تجاوره

وولده (النضر) واسمه قيس لقب بذلك لنضارته وحسنه وجماله

وولده (مالك) سمى بهذا لانه ملك العرب

وولده (فهر) وهذا لقب له اما اسمه فقريش سمي بهذا لانه كان يقرش اي يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها بماله . وكان بنوه ايضا يقرشون اهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا وفى زمنه جاء الملك حسان بن عبد كلال من اليمن فى حمير وغيرهم الى مكة يريد هدم البيت المشرف واخذا حجاره ليبنى بها بيتا فى اليمن يحج اليه العرب ولما نزل بالمكان المسمى نخلة خرج فهر الى مقاتلته فهزم جموعه وأسره وظل فى اسره نحو الثلاث سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير . عند ذلك هابت العرب فهرا وعظموه وعلا امره ومما يؤثر عنه قوله (قليل مما فى يديك اغنى لك من كثير مما اخلق وجهك وان صار اليك)

وولده (غالب) من سادة العرب المعدودين وعظمائها المعروفين

وولده (لؤى) كان سيدا مطاعا وشريفا محترما

وولده (كعب) وهو الذى كان يجمع العرب فى يوم الرحمة المسمى عند العرب يوم العروبة والذى اسماه الاسلام يوم الجمعة . فكان يخطب فى قومه . سيأتى لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم . وكان بين زمنه وبين مبعث الانوار المحمدية خمسماية وستون عاما . وهو اول من قال أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا . ليل داج ونهار صاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال اوتاد والنجوم اعلام والأولون كالآخرين فصلوا ارحامكم واحفظوا اصهاركم وثمروا أموالكم والدار

امامكم والظن غير مايقولون . وقد قيل له كعب لعلو مقامه ومن ثم قيل للكعبة كعبة ولرفعة قدره أرخوا بموته الى ان جاء عام الفيل ارخوا به وهو العام الذى جاء الملك ابرهة الى مكة يريد هدم الكعبة الشريفة فارسل عليه وعلى قومه الطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصف مأكول . ثم ارخ العرب بعده بوفاة الشريف السيد عبد المطلب ولما ظهر الاسلام أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بمشورة السادة الاصحاب أن يكون التاريخ العربي من الهجرة الشريفة فصارت الى الان

وولده (مرة) وكان سيدا كريما وشريفا عظيما

وولده (كلاب) واسمه حكيم لقب بذلك لانه كان يحب الصيد واكثر صيده بالكلاب

وولده (قصي) ويسمى زيدا وقيل له قصي لانه بعد عن عشيرته الى اخواله حيث مات ابوه وهو فطيم فتزوجت امه غير ابيه وتربى معها الى أن بلغ اشده فحدث أن ناضل رجلا من قضاعة فغلبه فغضب ذلك القضاعي وعيره بالغربة فاشتكى الى أمه فقالت له بلادك خير من بلادهم وأبوك كلاب بن مرة سيد قريش وقومك وجوه أهل مكة عند البيت الحرام الذى تحج اليه العرب وإن كاهنة اخبرتنى أنك ستلي امرا عظيما فتعلق ذهنه بقومه وفى أوان الحج ذهب مع حجاج قضاعة الى بلده فعرف قومه نبله وفضله فقدموه عليهم ثم تزوج ابنة حليل الخزاعي آخر من ولي البيت من خزاعة . فلما مات حليل رأى انه أولي بامر مكة لان قريشا أقرب الى اسماعيل من خزاعة فعمل قصي على اخراج خزاعة وتملك

البيت منهم . ثم جمع قصي قريشا وجعلها اثني عشر قبيلة ثم امرهم ان يبنوا بيوتهم حول البيت من جهاته الاربع وجعلوا ابوابها من جهة الكعبة لكل بطن منهم باب ينسب اليه كباب بنى شيبة وباب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب بنى جمح وتركوا فراغا حول الكعبة على قدر المطاف

وقصي هذا هو الذى اسس دار الندوة بالبيت المشرف . ولقد نعرف الغرض الذى انشئت لاجله هذه الدار . نعرف هذا من العنوان الذى سميت به وهي دار المشورة ودار الرأى والبحث فكانت قريش اذا اهمها امر أو إذا افزعها ملمة اجتمع سادتها واهل الرأي فيها بهذه الندوة للتنقيب والبحث حتى يصلوا الى جادة الصواب . وهذا لعمرك هو أول برلمان أنشأته العرب ولهم الفخر .

واستمر الحال على انه ليس حول الكعبة فراغ الاقدر المطاف زمن السيد الامين وزمن الخليفة الاول سيدنا ابى بكر الصديق ولما تولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخلافة اشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد حول الكعبة ثم لما كان زمن سيدنا عثمان اشترى دوراً اخرى وهدمها وزاد فى سعة المسجد ثم ان عبد الله بن الزبير زاد فى المسجد زيادة كبيرة وكذلك عبد الملك بن مروان من بعده رفع جداره واسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيئا ولما تولى الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وحمل اليه أعمدة الرخام ثم زاد فيه الهادى والد الرشيد مرتين واستقر بناؤه على ذلك إلى الآن . وحاز قصي شرف مكة كله فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة

وكان له ثلاثة اولاد . اكبرهم عبد الدار والذى حاز الشرف¹¹ فيع (عبد مناف) بن قصي فكانت قريش تسميه الفياض لكثرة جوده . وكان يليه فى الشرف اخوه المطلب . ولما رآى قصي ان ولديه عبدمناف والمطلب قد فاقا اخاهما عبد الدار فى الشرف اراد ان يشرفه مثلهما فاعطاه الحجابة ودار الندوة واللوا واعطى عبد مناف السقاية والرفاده والقيادة واسم عبد مناف المغيرة ويقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله

وقد خلف ولدين توأمين هاشم وعبد شمس وكانت اصبع رجل هاشم ملتصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعهما الى بسيلان دم ولذلك كانت بينهما احقاد ودماء وكان أمية بن عبد شمس يريد ان يصنع كما يصنع عمه هاشم من المفاخر فلم يقدر ولحسده لعمه قد دعاه الى المنافرة فاب هاشم لسنه وعلو مرتبته ولكنه عدل رأيه وقبل ان ينافره على شرط ان الذى يخسر المراهنة يذبح خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عنها عشر سنين فذهبوا الى الكاهن الخزاعي بعسفان فقال لهم . والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم امية الى المفاخر . فعاد هاشم لسيادته بمكة وانجلى منها امية عشر سنين وكانت هذه اول عداوة بينهم

و (هاشم) قد ورث السيادة عن ابيه وقد ساد قومه وتزوج من شريفة من بنى النجار كانت لاتتزوج الرجال الا باشتراطها لشرفها ومجدها وكان من شروطها الاتضع حملها الا فى اهلها فلما اثقلت بالحمل رحلت إلى اهلها بيثرب فوضعت جنينها واسمته شيبة وقدمات ابوه هاشم ببلد غزة بالشام وهو

يناهز الخامسة والعشرين من عمره

وشيبة هذا ظل فى يثرب عند اخواله بنى النجار الى أن ذهب اليه عمه المطلب واحضره معه الى مكة وكان الناس يظنونه عبدا للمطلب فصاروا ينادونه عبد المطلب واشتهر بهذا الاسم

وكان (عبد المطلب) سيدا مطاعا قد سوده فضله وشرفه وسبق ان نوهنا عن شيء من فضائله وهو جد صاحب الرسالة العظمى والذى قام بتربيته طفلا بعد موت ابيه عبد الله وكفله الى ان مات عنه وهو فى التاسعة من عمره الشريف ثم كفله بعده عمه ابو طالب حتى شرفه الله تعالى بالرسالة ونزل عليه الروح الامين بالوحي والتنزيل

من حسن الحظ ان يكون مسك الختام ذكر هذا النسب الشريف من ولد اسماعيل حتى يتصل الى خاتم المرسلين والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تمت السيرة الخليلية المباركة ويليها الكلام عن بريد الراديو

بسم الله الرحمن الرحيم

الراديو

الحمد لله الذى خلق الانسان علمه البيان والصلاة والسلام على معدن الافضال ومصدر الاحسان وعلى آله وصحبه الذين اقتبسوا منه مكارم الاخلاق فشيدوا لها البنيان وبعد

انه لاقبل لاي كاتب مهما أوتي من الفصاحة وعلو الكعب فى مضمار البلاغة ان يجول فى وصف هذا الابداع الذى انتظم به الكون. هذا الابداع الذى اهتدت به العقول الى تعرف اسرار الطبيعة حتى وصل الانسان بعلوم الكهرباء الى ما ادهش الالباب وحير الافهام

هذا الاختراع العجيب اختراع الراديو الذى يبرهن على السر الباهر فى حيز العقل والادراك وهو فضلا عن كونه برهانا ناطقا على كمال قدرة الله تعالى وتمام فضله على هذا النوع الانساني فانه فى نفس الوقت اداة تفريح وسرور حيث هي ترفه عن الناس سأم الحياة ومللها وتخفف عنهم اعباءها التى يرزحون تحتها

دخل هذا الاختراع الى قطرنا المصري المحبوب وافتتحت اول محطة للاذاعة وهي على ما اذكر محطة (سابو) ثم اعقبتها محطة (مصر الحديثة) ومن بعدها محطة (الامير فاروق) ثم قفى على آثارها محطات اخرى كمحطة فؤاد ومصر الملكية وفيولا ووادى الملوك وغير ذلك

والحق يقال ان هذه المحطات كانت تتسابق فى ارضاء الجمهور

وادخال السرور عليه. فكنت اذا اعوزتك السلوة واذا طلبت الترفيه عن نفسك فاذا لم تجد ذلك فى محطة قد لا يفوتك العثور عليها فى محطة اخرى فمثلا عند استماع القرآن الكريم فى الصباح قد تبكر احدى المحطات فى التلاوة وقبل ان يختم المقرىء يبتدىء مقرىء المحطة الاخرى. كذلك واذا لم يرق لديك الاصغاء الى موضوع تلقيه محطة قد تجد ما يوافق مشربك وينسجم مع ذوقك فى محطة اخرى

وبالجملة ان الجمهور المصري الكريم كان يرتاح كثيرا لهذه المحطات وقد تأسفنا جدا الاسف لالغائها

بريد الراديو

فى صباح ذات يوم استمعت الى راديو الامير فاروق فاذا به يقترح افتتاح بريد للراديو يكون بمثابة سوق عكاظي يتبارى الادباء فى ميدانه فاعجبتنى الفكرة وتتبعت آثار هذا البريد حتى هزتنى الاريحية ان أزج بقلمى فى مضماره وادلى دلوى بين دلاء الكاتبين

ففى صباح يوم الجمعة ١٢ مايو سنة ١٩٣٣ نشر مذيع البريد مقالا بامضاء (محام معروف بالجيزة) يتكلم به عن وظيفة المرأة فكتبت الى البريد المقال التالى

وظيفة المراة

لقد سمعت من بريد الراديو ما أثليج صدرى من مقال الرجل الطيب (محام معروف بالجيزة). انك تراه قد حلل مسألة المرأة تحليلا اجتماعيا توخى فيه الحكمة واصالة الرأي فلم يتعرض لهذا الامر من الوجهة الدينية او من نواحى العادات او التقاليد القومية حتى لا يكون مضغة فى افواه التائهين فى بيداء التقليد الممقوت

انه يريد ان يعود بالجامحين الى الناموس الطبيعي الذى جعل لكل من الجنسين وظيفة خاصة به فجعل الرجل يكد ويكدح ليعول هذا الجنس الناعم الذى خلق ضعيفا محتاجا للمعونة

هؤلاء المقلدون يريدون ان يزجوا بالمرأة فى معترك الحياة لتترك وظيفتها فينهار البيت من اساسه وهو الوحدة التى تتألف منها الاسر ومنها تتكون الامم. لعمرك ايها الرجل الطيب انهم يتحرقون أسى ولوعة وينادون بتحرير المرأة ولست أدرى حى ولا اخونا المنجم يدرى ان صون المرأة يعيقها عن العلم او يسلبها التمتع بالحرية ولكنهم يغررون بها حتى تهجر خدرها لحاجة فى نفس يعقوب

وهذا الامبراطور غليوم عندما كان فى أوج مجده تقدم اليه كبير الاساتذة القائمين بتهذيب ابنته يبشره بانها اتمت علومها بتقدم باهر فما كان جوابه الا ان قال . ابعثوا بها الى المطبخ . وليس معى هذا! وهو على رأس أمة بلغت شأوا بعيدا فى الثقافة والرقي . ليس معناه انه يمتهنها او يحقر من شأنها بل انه يرمى الى حكمة جليلة هي وظيفة المرأة فى المجتمع . هذه الوظيفة الهامة التى هي شطر الحياة بل هي الحياة كلها

امامها ادارة البيت فهي التى تمهد السبيل لتجعله جنة الخلد يسكن اليه أهله في راحة بال وهدوء سر

امامها سلالة الامة هذه العجينة الآدمية تصورها كيف شاءت وتكيفها حيث ارادت . فهي تعتبر المدرسة الاولى للطفل تهيؤه ناشئا ناضجا محبا لوطنه يعمل على اعلاء شأنه يتواصى بصلة الارحام والاتحاد مع مواطنيه هي التى تأخذ بيد الناشئين حتى تصل بهم الى مستوى الرجولة

الصحيحة . الرجولة التي لا يعتورها فتور أو قصور أو ينقص من اطرافها حب الشهوات او الميل مع الاهواء

وهي التي تمسك زمام الاسرة فتظل متماسكة قوية لتكون اساساً صالحاً لتكوين امة رشيدة

كان حريا بهؤلاء الذين يرفعون عقيرتهم بالعطف على المرأة ان يساعدوها على القيام باعباء وظيفتها الهامة ولا يثبطوها عن واجبها الاجتماعي ليتأبطوا ذراعها الى المحافل والمنتديات وتغشى معهم اماكن اللهو ودور المراقص حتى يصبح البيت يندب سوء حظه

انك لو قلت لهم ان صيانة المرأة اولى من ابتذالها وان التفاتها لواجباتها اليق من تبرجها ولهوها لو قلت هذا لملأوا الدنيا صياحا وعويلا ووصموك بالرجعية والعود بالامة عدة اجيال الى الوراء

اننا نقول معهم احسنوا تعليم الفتاة ولكن باعدوا بينها وبين الجنس الاخر لان الفتاة عندما تكون خالية الذهن من الغراميات والمداعبات قد يجد العلم فى فؤادها فراغا فيملؤه ويجد مرتعا خصبا فيتبوأه

قد يلهو الطفل بعود من الثقاب يشعله فتحترق مدينة باسرها وهو لاه يلعب وكذلك المستهترون فان جل امانيهم ان يقضوا لبانتهم مهما تداعت دعائم الاخلاق وتدهورت الى الهاوية التى نحفرها بايدينا نسأل الله الهداية والسلام

شخصية كريمة

قد اعلن المذيع عن شخصية المحامى المعروف بالجيزة انه هو نفس (الست زوزو) التى سبق لها أن كتبت فى مواضيع اجتماعية فاكبرت هذ

الكاتبة الكريمة وكتبت المقال التالى بتاريخ ٢٠ مايو سنة ١٩٣٣

كانت مفاجأة لذيذة التى اتحفنا بها بريد الراديو صباح امس حيث كنت شغفا بتعرف شخصية (المحامى المعروف بالجيزة) واذابى اواجه شخصية محترمة جليلة

بالامس تقدمت بالشكر الى المحامى المعروف واليوم ادعو القلم ليستنبط من حدائق الادب باقة جميلة يتضوع عبير الثناء منها للسيدة (زوزو) المحامى المعروف مكررا

هذا الذى يمتدحك ياسيدتى المهذبة ليس دعيا فى الادب او دخيلا عليه بل كنت اتولى قومندانية كبيرة فى أعظم مركز رئيسي بالبلد وكنت ولعا بالادب دائبا على التجوال فيه ولى مؤلفات ادبية وفقط كانت قيود التوظف تمنعنى عن الظهور فى صفوف المتأدبين

ولما آثرت العمل الحر ووهبت كل مواهبي ومداركى لوطنى استنفد هذا كل اوقاتي واحيانا أنتهز منها ما اروح به النفس فى رياض الادب الغناء

عزفت قيثاره بريد الراديو بنغماتها المشجية فايقظت القلم من سباته العميق حتى نزلت فى حلبة الكلام . وانى لا اتكلم الا عن ضمير خالص حيث لا ابغى من وراء هذا اذاعة الصيت لان الشهرة التى حصلت عليها بكافة وسائل النشر وانفقت عليها نفقات طائلة فيها الكفاية . ولست اقصد ايضاً ان ارتزق من شق القلم لاني اتمتع فى خفض العيش ورغد الحياة من فضل مولانا الغني الحميد

من واجبي . كما هو واجب كل فرد . عندما اجد السنة اللهيب

تندلع في بيت لابدأن أنبه فرقة المطافىء او على الاقل ارشد اصحاب الدار ليعملوا على التخلص من فتكات الحريق. ولما اننا نرى أمة تلفحها نيران التقليد الاعمى فيتحتم علينا النصح والسلام

الاحجام عن الزواج

كتبت السيدة (زوزو) تتساءل عن السبب في احجام الشباب عن الزواج فارسلت الى البريد بالمقال التالى

اكتب اليوم مجاهرا بان الفساد هو العائق للزواج لان الشباب انغمس في الاباحية المطلقة فتراه يتخذ من الخليلات مثنى وثلاث ورباع وان شئت فعد على اصابع اليد او اليدين ومادام هذا الباب مفتوحا امامه على مصراعيه فماله ورباط الزوجية واعباءها الثقيلة يضع نفسه في إصرها واغلالها

في الماضى القريب كان الشاب يتطلب الزواج في سن مبكر لانه لم يجد ما يسد حاجته ويبل غلته وكان ماء الحياء لا يغيض من الوجوه بعد فاصبح الآن ينتحل المعاذير للعزوبة ويخلق الاسباب للاحجام

كنا نجادلهم بالتى هي احسن ونقول امنعوا النار عن الهشيم او فرقوا بين اللهيب والبنزين أو بعبارة جلية احجزوا الفتاة عن الفتى حتى لا تلوث سمعة العائلات فيقول قائلهم ان علموها واتركوها تسير انى شاءت فالعلم يهذب نفسها ويردعها عن دواعى الريب والظنون

ان هذا لشيء عجيب: ولماذا لا يشذب العلم من هذه النفوس الجامحة عن الخير الجانحة الى الثورة على العرف وعلى الفضيلة وعلى الكرامة؟. لماذا يتجمل الشاب بكل انواع الزينة ليحوك منها شباكا تقع في حبائلها الفتاة البريئة؟.

واذا وجهت اليه كلمة عتاب يقول ان الفتاة هي التى تتثنى وتتمايل وتتجلى مائسة حاسرة وهذا الاغراء لا نستطيع معه التغلب على عواطفنا

اذن اتفقنا . واقتربت مسافة الخلف بيننا . فيجب ان تنادوا معنا بحجز الفتاة عنكم حتى لا تقعوا فى شراك اغرائها .

قولوا الحق ولو على انفسكم ايها السادة فاللوم كله واقع عليكم لان الشاب عندما يأنس من نفسه الوصول الى سن المراهقة يكون اكبر همه البحث وراء العشق والجري فى اثر الغرام ويا ليته يعشق عشقا عفا نزيها كنا نساعده عليه (لان العشق يطلق اللسان) وكنا ايضا نعذره لانه يتحبب الى الفتاة التى يتخذها شريكة حياته ولكنه ويا للاسف يتعشقها لأغراض دنيئة

ان المرأة تشعر بالضعف لتركيبها النسوي وتشعر ايضا بحاجتها الى معونة الرجل فمتى رأت ان هذا المعين يغريها على الفسوق فلا جدال فى اندفاعها اليه نزولا على ارادة الرجل

الذنب ليس ذنب المرأة بل الذنب واقع على الرجل حيث هو القيم عليها وهو لنقص فى نفسيته يهرب من هذه القوامة

نصيحة إلى الآباء

مابالك ايها الاب الرحيم وقد اجهدت نفسك فى العناية بابنتك من مهدها وكنت تسهر على راحتها منذ طفولتها والآن هي فى امس الحاجة اليك لتنقذها من ايدى الذين يلعبون بها كالكرة يوجهونها انى شاءوا

ما بالك ايها الوالد الشفوق تترك هذه الوديعة الجميلة بين الذئاب يسطون على فريستهم ولا يرقبون فى الحق الا ولا ذمة . انهم يخدعونك

بزخرف القول حيث تسمعهم يتشدقون بحرية المرأة وما وضعها في اسار ذل التهتك الا هذه السفسطة الفارغة

ان كنت تبرز فتاتك حاسرة تقصد بهذا عرضها للتزوج فارح بالك من هذا العناء لانهم لا يتزوجون والسلام

سيدة تبغض زوجها

ورد الى البريد كتاب بامضاء (فتحية) وقد اتضح أن هذه الشخصية هي الشخصية الكريمة شخصية السيدة (زوزو) ايضا تطلب من الكاتبين ابداء آرائهم فيما تصنعه سيدة تبغض زوجها فكتبت عن ذلك

انى الفت نظر السيدة المحترمة الى المثل السائر (حب ووارى واكره ودارى) فالمداراة هي احسن علاج لهذه الكراهة. وما على السيدة الا أن تسير مع آراء الحكماء اهل النهى الذين بحثوا عن السعادة حتى استقر رأيهم انها تنحصر في الرضا وضربوا لك الامثال فقالوا لو أن رجلا صادف في طريقه المليحة المائسة والجميلة التى تخلب الالباب فاذا ما رضي بقسمته عند ما يرى حليلته تأصلت الكراهة بينهما وساءت العاقبة كذلك وعند ما يقدم اليه الطعام فيجده غير ناضج مثلا أو رأى الاناء تنقصه النظافة فلو صبر وغفر لكان ذلك من عزم الامور اما لو تبرم واظهر الاستياء وابدى الاساءة فليس هناك إلا تنغيص الحياة فالتقاطع فالفراق. وما نقوله عن الرجل يسرى على المرأه فهي لا تستقر هانئة إلا بالرضاء بالامر الواقع.

وياحبذا لو التفت الزوج لواجباته الزوجية فيعيش لاولاده ويحي

لعائلته ويبقى في صف قرينته حتى تأنس منه الاخلاص فتخاص اليه بدورها

الزواج العصياني

كتبت السيدة (فتحية) تستحث الكاتبين على الكتابة في هذا الموضوع فكتبت الآتى

اما الست (فتحية) فانها تستحق كل ثناء تلقاء فكرتها التى طرحتها على اهل الرأي حتى يعنوا العناية اللائقة بفحص وتمحيص موضوع اجتماعي جدير بالتفكير والروية وهو (الزواج بغير رؤية) فلو حشرت نفسى في زمرة المتسابقين لم يكن لى مأرب سوى أن اوفق فاصيب الغرض واصادف المرمى

أن لواعج الاسى لا يزال لهيبها يضطرم فى كبدى لما اصاب هذا البلد فى الصميم من اخلاقه حيث ترى سوس الفساد ينخر فى هيكل الفضيلة حتى تداعت قوائمه وجراثيم الفجور تنفث سمومها فى شرايين الحياء حتى نضب معينه . رحم الله ايام زمان وقت أن كانت البنت تلزم خدرها وتصون عفتها وعرضها وتحتفظ بسمعة عشيرتها واهلها ولا يسمح لها بالاختلاط بالسيدات حتى تظل على حيائها والحياء أثمن حلية تتحلى بها البنت . ومن الحياء أن لا تجمل وجهها ولا تظهر حتى ولا انملة من جسدها امام ذوى ارحامها فضلا عن الاجانب . تلك الايام الهادئه الحلوة يصفها جيل هذا الوقت بالرجعية والهمجية

إذا سمحت ونعيت معي الجيل الغابر ايام كان الولد طوع ابيه بارا بامه رحيما بقرابته وكان شرب الدخان يعد نقيصة تنفر منها الطباع السليمة حتى اتذكر وانا تلميذ بمدرسة القربية مع زميلي زعيم الوطنية المرحوم

المبرور (مصطفى كامل) ان ادارة المدرسة صفت كل التلاميذ (طابورا) لعرض تلميذ أتى امرا عدوه قبيحا وهو التدخين على ملأ من الناس ولا تسل عما لحق التلميذ من الاهانة والتعذير . هذا وناهيك عمن يتعاطى مسكرا فانه يكون نصيبه التحقير والاهانة واتذكر ايضا فى طفولتى اننى اجتمعت مع اندادلى حول سكران نشنع عليه فعلته وكنت اوجه اليه نظرة حقيرة كانه من طينة غير طينة البشر . وكان الغلام يلازم الحياء ايضا فلا يمازح بنتا ولا يجالس هذا الجنس الناعم خوف الملام . وإذا بلغ الحلم لا يدخل على النساء ولا يختلط بهن وإذا قابل امرأة وكلمها فهناك الطامة الكبرى لما يقع عليه من تشهير وتشنيع وهناك ايضا نظرات الحقارة والزراية من كل مواطنيه . فلهذا كان عندما يشعر بميله الى النساء لا يجد مندوحة عن طلب الزواج فتذهب امه او احدى قريباته إلى البيت الذى يرومون مصاهرته . واحسن بيت تطمح اليه الانظار هو المصون عرضه المؤدبة ذريته . تذهب لخطبة العروسة فاذا كان العريسان تعارفا وقت الطفولة فتتم الخطبة أوانها تعود اليه وتصف له محاسن العروسة فتقع من نفسه موقعا حسنا ويتمكن حبها من فؤاده (والاذن تعشق قبل العين احيانا) وكذلك البنت فانها لم تكن لتعرف بعد لغة العيون ولا اشارة الجفون ولا غمز الحواجب بل إن قلبها خال من الولع والهيام فتهب كل قلبها لعريسها وتنتظر بفارغ الصبر يوم الزفاف حتى يجنى كل منهما ثمرات حبه وبعد الزفاف لا يكون الا تبادل الحب والاخلاص . زوجة طاهرة عفيفة محبة لبنتها واهلها واولادها . وزوج شهم نزيه عف لا يظهر امام زوجته الا بمظهر الرجولة والقوامة الرحيمة .

فتظل العائلة متماسكة لا تستهدف للشتات والتفريق

هذا هو الزواج بغير رؤية أو الزواج العمياني كما يسمونه وفى نظرى انه ما كان مقامرة او مغامرة ولكن الذى جعله كذلك هو تبدل الحال غير الحال حيث نرى الشاب كالبدوي (خراش) عندما تكاثرت الظباء عليه فلا يدرى ايها يصيد . وكذلك فتانا الناشيء فانه اينما يمشي يرنو بعينه ويميل بعطفه يريد أن يتصيد من هذه الظباء النافرة التائهة في بيداء التقليد الاعمى والسلام

اعـــلام البريد

قد تطوع لفحول الكاتبين من اهل الرأي والحجا فى موالاة البريد بما تنتجه قرائحهم الزكية وكان الاخلاص ينبعث من رسائلهم التى تبحث فى كل موضوع حيوي اجتماعي وكان الكوكب الساطع فى سماء البريد هو (السيده زوزو) فانها وايم الحق اظهرت من العطف على امتها والغيرة على مصالحها ما جعل اعلام البريد يولونها الصدارة ويقلدونها الزعامة فكانت زعيمة بريد الراديو عن جدارة واستحقاق

وقد انضم الى البريد ركن قوي هو الاستاذ المثقف العالم زكريا افندى ابو ستيت خريج جامعة فينا فانه غذى البريد بأدبه الرائع ومده بآرائه الصائبة وعطف عليه فلم يبخل بعلمه على أمته . كذلك ودعامته القوية وروحه المرحة الوثابة ذلك الكاتب الفكه الظريف الاستاذ نجيب بركات وحدث ولا حرج عن فضل الاستاذ يوسف بك فرج والدكتور هنداوى وغيرهم من اعلام البيان وعمد الكلام وكذلك لا نغمط السيدات فضلهن

فان الكثيرات منهن لهن جولات موفقة فى البريد وارءحصيفة فى مسابقاته

الحفلة التكريمية

ان اسم (زوزو) هو رمز لشخصية محترمة من بيت مجد اشتهر بالادب والعلم وقد فكر جماعة البريد أن يكرموا الادب فى شخصها المحبوب فاقيمت لها حفلة تكريم نريد فى جمالها أنها حفلة نسوية صرفة بعيدة عن كل نقد أو ملام وكانت سكرتيرة الحفلة الآنسة احسان تتلو رسائل الكاتبين بفصاحة ونباهة وتقدم خطيبات الحفلة امام المذياع بمهارة ولباقة حتى تيقنت أن فى السويداء فتيات راقيات تفخر بهن البلاد

وقد كتبت رسالة عن العيد التكريمي قبل المهرجان جاء فيها

ار انى قد توانيت فى الكتابة عن العيد التكريمي لزعيمة الادب وكبيرة كرائم الكاتبات . وما هو الا العي والحصر قد أخذا على القلم كل نواحي الطموح فلم يتسن له الافاضة فى شرح الجذل والحبور . اليس للقلم العذر ياصديقتي ؟ انى له الاستطاعة أن يثب وثبات موفقة والسرور قد امتلأ إناه حتى جعل الذهن لا يملك أن يمد القلم بنوره الفياض . ابن هي الكلمات التى اصيغ منها عقود الثناء وأي لؤلؤ أو مرجان وأي نضار أو جمان يحسن أن ننتقي منها كلمات التمجيد وجمل الاستحسان . وأي كاتب مهما فاض معه معين الكلام أن يحلى جيدها بالمديح وهي تتحلى بحلية الادب وتتزين بزينة الفضل وكريم الخلال الخ الخ.

وجاء فى رسالتى التى تليت فى الحفلة فى يوم الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٣٤ ما يأتى الكلم الطيب كالنبات الطيب يثمر ثمرا يانعا يؤتى اكله كل حين . وهذا

الثمر الشهي يغذى الاجسام كما تتغذى النفوس بالكلمات الطيبة التى ينقلها الاثير عن لسان السيدة الزعيمة صاحبة التكريم . ان روعة الادب وعبقرية الثقافة تمتلك قياد القلوب وتجعل الصلة الروحية بين صاحبة الحديث وبين مستمعيها ترتبط برباط وثيق حتى مع تباعد الاشباح فان الارواح تتناجى وتتآلف فلا غرو ان يأخذ الاوانس كريمات الراعى قسطهن من تكريم السيدة المحترمة ويبعثن اليها بهدية من الحلوى مع باقة الرياحين تنثر عليها كما يستاهل جبينها الوضاء ان يكلل باكاليل الغار شارة لعلو الكعب فى مضمار الادب . وكذلك أمهن الوقورة تريد أن تساهم فى هذا التكريم فتهديها بما برعت فيه وبما سودها على اترابها وهو القلم . نعم أن خير مايهدى اليها هو القلم الذى تزينه . القلم الذى طالما هزته بين انامليها توجهه الى ناحية الخير وكثيرا ما سال من مداده بلسم شاف لمرضى الاخلاق الجامحين . الخ الخ ...

وكذلك بعثت برسائل ضافية فى مواضيع شتى كنت أود أن ابينها لولا ضيق المقام . كما وانى كنت اود ايضا ان اتحف القراء الكرام بما دبجته الاقلام من البحوث الشائقة فى المسابقات الادبية والمحاورات الاجتماعية التى كانت ممتعة وسلوة ولكنى لم اتمكن من الحصول عليها وانها لخسارة كبيرة أن تقبر هذه الكنوز ولا ينتفع بها الجمهور

وختاما اكرر الحمد والامتنان لمولانا الناطق على كل لسان الملهم لكل جنان مع الصلاة على عين الاعيان وآله وصحبه اهل الرقي والعرفان اجعل هذا مسك الختام والسلام م؟

الفهرست

تابع الفهرست

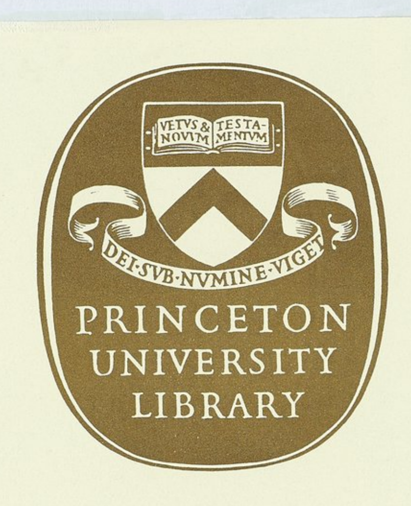
اهداء الكتاب

الى هولاء الذين يقربون عباد الله الى الله . الى الذين يمسكون المشاعل ينيرون بها الطريق للناس فيتعرفون الحق والصواب . الى اصحاب الكلم الطيب والقول المليح . هذا القول الذى امتدحه القرآن الكريم بقوله الحكيم (ومن احسن قولا ممن دعى الى الله وعمل صالحا) . الى ورثة الانبياء . الى الوعاظ والمرشدين . الى اهل الثقافة الذين ينورون الافهام وينهون الاذهان الى هؤلاء جميعا اهدى هذا الكتاب ولقد تعظم قيمته لو يكون نصيبه القبول . وعسى أن يتفضل القارىء بالاغضاء عما يصادفه من الهفوات حيث انه لكل جواد كبوة ولكل كريم هفوة والسلام م مصطفى محمد الراعى

الخطأ والصواب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٥	١٧	اي	أية
١٦	٢	اسنة مين	سنة تطمين
٤٩	١١	توجه	يوجه
١١٥	٢	نظرنا لوبلا	نظرنا ألامر
١٢٤	١٥	أن يجلوا	أن يجعلوا
١٢٥	١	لله	بالله
١٢٥	١٥	لتواصى	لنواصى
١٤٢	١	اثنى عشر	اثني عشرة
١٤٣	٨	الى بسيلان	الا بسيلان

هذا عدا اخطاء مطبعية لا تتغير معها معانى الكلام م


VETVS & TESTA-
NOVVM MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

